

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وقفه

مع

الدكتور الشيخ البراك

(استاذ جامعة أم القرى بمكة المكرمة)

محمد مهدي الآصفي



■ وقفة مع الدكتور الشيخ البراك

التأليف: محمد مهدي الآصفي

الناشر: المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

الطبعة الأولى

تاريخ النشر: 1432 هـ..

الطبعة: مجا ب

عدد النسخ: 3000

ردم لك: 964-529-000-0

info@ahl-ul-bayt.org

www.ahl-ul-bayt.org

حقوق النشر محفوظة للمناشر

وقفة مع الدكتور الشيخ البراك

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليهم السلام الذي اخترنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية.

وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحنّذين لخطى أهل البيت عليهم السلام الرسالية، مستوعبين إثارته وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الردّ على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كل عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في هذا المضمّار فريدة في نوعها؛ لأنّها ذات رصيد علمي يحتكم إلى العقل والبرهان ويتجنب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب

العلماء والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل
وتقبله الفطرة السليمة.

وقد حاول المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام أن يقدم لطلاب
الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنية من خلال مجموعة
من البحوث والمؤلفات التي يقوم بتصنيفها مؤلفون معاصرون من
المنتسبين لمدرسة أهل البيت عليه السلام، أو من الذين أنعم الله عليهم
بالإلتحاق بهذه المدرسة الشريفة، فضلاً عن قيام المجمع بنشر
وتحقيق ما يتوخى فيه الفائدة من مؤلفات علماء الشيعة الأعلام من
القدامى أيضاً لتكون هذه المؤلفات منهلًا عذباً للنفوس الطالبة
للحق، لتفتح على الحقائق التي تقدمها مدرسة أهل البيت الرسالية
للعالم أجمع، في عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس
والأرواح بشكل سريع وفريد.

ونتقدم بالشكر الجزيل لسماحة الشيخ محمد مهدي الأصفي
لتأليفه هذا الكتاب.

وكلنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدمنا ما استطعنا من جهد أداءً
لبعض ما علينا تجاه رسالة ربنا العظيم الذي أرسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً.

المجمع العالمي لأهل البيت

المعاونة الثقافية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ
النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ﴾

آل عمران : 103

«لقد علمتم أنني أحقُّ بها من غيري، ووالله لأسلمنَّ
ما سلّمتُ أمورُ المسلمين، ولم يكن فيها جورٌ إلّا
علىَّ خاصة»

وقفه مع الدكتور الشيخ البراك

على أعتاب المؤتمر العالمي للوحدة الإسلامية بطهران؛ أجرت صحيفة (المدينة) مقابلة مع الأستاذ الشيخ محمد بن سليمان البراك أحد أساتذة جامعة (أم القرى) في مكة المكرمة حول مشروع الوحدة الإسلامية... فكان مما قال البراك: «إنني أتحدى الشيعة اذا أثبتوا أنهم قد أخذوا عن أحد من آل البيت [عليه السلام] شيئاً من عقائدهم التي يختلفون فيها عن الآخرين».

دعاة التفرقة والإختلاف:

قرأت المقالة التي نشرتها جريدة (المدينة) كلها، فوجدت فيها مجموعة من الإتهامات للشيعة، مثل إتهامهم بمخالفة الكتاب والسنة،... الخ. مما تثير طائفة كبيرة من المسلمين، و تؤدي الى بلبلة وتراشق في الصف الإسلامي، وذلك على أعتاب قيام مؤتمر الوحدة الإسلامية في طهران.. ووجدت أن هذه المقابلة تخدم المشروع الاستكباري (الأمريكي - الإسرائيلي) لإحداث فتنة طائفية، وشرح

في الصف الإسلامي، يسهل مهمة الاستكبار الأمريكي في بسط نفوذه في العالم الإسلامي، من حيث يشعر الكاتب أو لا يشعر ولا يقصد.

واللغة التي يستخدمها كاتب المقال لغة استفزازية مثيرة للخلاف والفتنة بين المسلمين... الأمر الذي تسعى إليه أمريكا وإسرائيل والغرب عموماً، وتجد فيها بغيتها في إلهاء المسلمين بالتناحر والتراشق المتبادل فيما بينهم، لتستطيع هذه الأنظمة المناوئة للإسلام أن تمرر من خلالها مشاريعها السياسية والعسكرية والاقتصادية فقلبي العالم الإسلامي.. وإلى غير هذه اللغة والاسلوب دعانا الله تعالى.

لقد اختبر الغرب سياسة (الفتن والتناحر المذهبي فيما بين المسلمين) منذ أيام الاحتلال الإنكليزي لمناطق واسعة من العالم الإسلامي الى اليوم. ووجد فيها فرصة ذهبية لبسط نفوذه في العالم الإسلامي، وورث الأمريكان من الإنكليز هذه السياسة وتمادوا في ذلك، وأمعنوا في استخدامها.

دعاة الاعتصام بالله واللقاء:

وقد عرف علماء عاملون صالحون ومصلحون من السنة

والشيعة هذا المنهج السياسي الذي سلكه الإنكليز أمس، ويسلكه الأمريكيان اليوم، وعملوا على مكافحة هذه السياسة وإحباطها، وعملوا على إزالة جدار الفصل الطائفي، وإشاعة ثقافة التقريب والوحدة بين المسلمين، ودعوا الى اللقاء والتفاهم في المسائل الفقهية والعقائدية، وتوحيد الموقف السياسي مثل: السيد حسين البروجردي من إيران، والشيخ محمود شلتوت من مصر، والسيد عبد الحسين شرف الدين من لبنان، والإمام الخميني من إيران (القائد الراحل للثورة الإسلامية)، والشيخ حسن البنا من مصر مؤسس جماعة الإخوان المسلمين ومرشد هذه الجماعة والشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء من العراق، والسيد علي الخامنئي (قائد الثورة الإسلامية) من إيران والسيد علي السيستاني من العراق، وآخرون من أعلام المسلمين المعاصرين، رحم الله الماضين منهم، وحفظ الباقيين.

وكان من نتائج هذه الحركة المباركة قيام مشاريع ومؤسسات ثقافية وسياسية للدعوة الى التقريب في القاهرة وإيران ولبنان والعراق وافغانستان وباكستان والهند وغيرها من بلاد العالم الإسلامي، وأقاموا لهذه الغاية مؤتمرات ولقاءات ومشاريع سياسية وثقافية.

وقد أفلحت هذه الدعوة، وحققت أهدافها، وكللها قيام الجمهورية الإسلامية في إيران، بقيادة الإمام الخميني (رحمه الله)، وانتصار حزب الله في لبنان على إسرائيل، مرتين خلال فترة قصيرة، وقد استقطب هذان الحدثان وغيرهما مشاعر المسلمين في مشارق

الأرض ومغاربها، والتقى المسلمون على إختلاف مذاهبهم في الإحتفاء بهذين الحدثين، وتعاطفوا معهما، كما تعاطف المسلمون جميعاً مع انتفاضة الحجارة والمقاومة الإسلامية المسلحة في فلسطين، ووجدوا فيهما النهج الإسلامي الصحيح لإزالة الاحتلال من فلسطين.

وكانت هذه اللقاءات والمشاريع تتكرر، وتتلاقح في العالم الإسلامي، وتوحد صفوف المسلمين ومواقفهم ومشاعرهم.

عودة المشاريع الاستكبارية في إثارة الفتنة بين المسلمين:
فأحسّ بذلك الإستكبار الأمريكي وإسرائيل والأنظمة المناوئة للإسلام، من جانب، والأنظمة الحاكمة المرتبطة بعجلة الاستكبار في العالم الإسلامي، من جانب آخر، ووجدوا فيها خطراً كبيراً على مصالحهم، وعلموا أن هذه الأمة الكبيرة إذا اتّحدت ووحدت مواقفها السياسية، فسوف لا يبقى لهم موضع قدم في العالم الإسلامي.

فبدأت هذه الأنظمة بالتخطيط لإحباط المشروع التقريبي الوحدوي الإسلامي، وإحتضان مثيري الفتنة المذهبية بين المسلمين، وظهرت كتب، وصحف، وفضائيات، وخطابات، ومؤتمرات، ولقاءات، تروج للفتنة والترشق بين المذاهب الإسلامية، وتدعوا إليها، وتعمل على إشاعتها في كل مكان، وكانت

هذه الأنظمة في الغرب وفي العالم الإسلامي تمول هذه الدعوات والمشاريع الطائفية، وتحتضنها، وتوظف لها محطاتها الإعلامية. وفي كلِّ بناء وهدم: البناء شاق عسير، والهدم سهل يسير. وقد وجدت هذه الأنظمة في أعمال التخريب التي يقوم بها دعاة الفتنة والتقاطع والخلاف بين المسلمين الأداة المفضلة لها لإحباط المشاريع الوحدوية والتقريبية التي نهض بها دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي من السنة والشيعية، ووجدوا في ذلك أسلوباً سهلاً مريحاً لمصادرة جهود العاملين والمصلحين في العالم الإسلامي في التقريب والتوحيد.

* * *

وآخر ما قرأناه في هذا السياق، مقابلة أجرتها صحيفة (المدينة) مع الاستاذ الشيخ محمد بن سليمان البراك عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى وكلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، يوجه فيها طائفة من الاتهامات لشيعنة أهل البيت عليهم السلام جزافاً، ومن دون استناد الى دليل علمي، وفي طرح غير علمي لا يناسب المواقع العلمية التي يحتلها صاحب المقابلة. وليس لنا أن نتهم كاتب المقال بنية الإثارة والفتنة والتخريب، ولكن المقال يقع في هذا السياق بالتأكيد، حتى لو لم يقصد صاحبه

ذلك.

وفيما يلي نتوقف عند نقاط الاتهام التي يذكرها الشيخ البراك
في مقابلته، ونناقشها بإيجاز واختصار، إن شاء الله.

ضوابط التقريب

يقول البراك: «الكل ينادي بالتقريب بين المذاهب، خاصة مع الشيعة ونبذ الخلافات، فهل يترك الأمر على اطلاقه أم لابد من ضوابط ينبغي أن تراعى في هذا التقريب؟»

أقول: هذا كلام صحيح، لا يرتاب فيه أحد. ودعاة التقريب من الشيعة والسنة لا يدعون الى تقريب من دون ضوابط ولا أصول. ولكن ماهي هذه الأسس والضوابط؟

يقول البراك: «وقد تقدم أن أساس الوحدة والتقارب هو القرآن والسنة ثم فهم الصحابة لهما، وكل هذه الأسس يخالف فيها الشيعة بقية المسلمين».

ومعنى ذلك: ان أسس التقريب ثلاثة، الكتاب والسنة، وفهم الصحابة للكتاب والسنة..

والشيعة يخالفون أهل السنة في الثلاثة جميعاً...

أقول: اما افتراؤه على شيعة أهل البيت عليهم السلام بأنهم يخالفون أهل السنة في حجية الكتاب والسنة فحسابه مع الله، يحاسبه على هذا الافتراء العريض لأمة من المسلمين، يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويعملون بالكتاب والسنة، ويتلون القرآن

ويدعون إليه، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.
وأما الأساس الثالث للتقريب والوحدة وهو: فهم الصحابة
للكتاب والسنة.

فلا بد أن نتوقف عنده بعض الوقت، ونسأله عن دليل حجية فهم
الصحابة للكتاب والسنة، كما يقول البراك، ولا أقول روايتهم، فإن
روايتهم عن رسول الله ﷺ عندنا مقبولة، ونأخذ بها إذا كان
الصحابي عدلاً. ولم تثبت عندنا عدالة الصحابة جميعاً. ونحن
نشترط في صحة الرواية عدالة الراوي.

ونحن نعتقد ونقول بحجية خبر الواحد، فلا نتوقف عند قبول
رواية الصحابة، إذا ثبتت عدالتهم رحمهم الله ورضى عنهم.
وأما الذي نتوقف عنده ونتساءل عنه، فهو حجية رأيهم، في فهم
الكتاب والسنة، وهو الأساس الثالث للوحدة والتقريب بين
المسلمين في كلام البراك.

فأقول: إن رأي الصحابة في الكتاب والسنة لا يزيد على أن
يكون اجتهاداً منهم في فهم الكتاب والسنة... ولا نشك أن في
الصحابة مجتهدين.

ولكن لماذا نحصر الاجتهاد في فهم الكتاب والسنة في الصحابة
فقط؟

ولماذا نغلق أبواب الاجتهاد في فهم الكتاب والسنة على أنفسنا؟

وهل هناك من دليل من الكتاب والسنة في حظر الاجتهاد على
الآخرين من دون الصحابة؟

ثم ماذا نفعل عندما يختلف صحابيان في فهمهم للكتاب
والسنة؟ فبأي رأي من الرأيين نعمل؟

لقد اختلف الصحابيان، أبوذر وعثمان بن عفان في منهج
التصرف بأموال بيت المال، فكان يرى الخليفة ان من حقه أن يبرَّ
بأموال بيت المال أهله وعشيرته من بني أمية أمثال مروان بن الحكم
وآل الحكم وأبي سفيان والوليد وغيرهم، وكان أبوذر رضي الله عنه ينكر
عليه ذلك... وقد نفاه معاوية من الشام ونفاه عثمان من المدينة،
ومات في المنفى رحمه الله فأَيَّ رأيٍ نأخذ؟

وإذا اختلف الصحابيان عبدالله بن مسعود والخليفة عثمان بن
عفان، فألقى ابن مسعود مفاتيح المال، عندما طلب منه الوليد بن
عقبة أن يطلق يديه في أموال بيت المال فامتنع عليه ابن مسعود،
وغضب عليه الخليفة فاستدعاه الى المدينة، وأمر بضربه في المسجد
ضرباً مُبرِّحاً وأُخرج من المسجد لأنه امتنع عن أن يدفع الى الوليد
بن عقبة ما يشاء من بيت المال .

فبرأي من نأخذ برأي ابن مسعود أم برأي الخليفة، وهما
صحابيان، لا نشك في ذلك؟

وقد اختلف عمار بن ياسر والخليفة في بعض تصرفاته ببيت

المال، فأمر الخليفة بضربه حتى أغمى عليه، فبرأي من نأخذ؟
بل لا نشك أن فهم الشيخين أبي بكر وعمر كان يختلف عن
فهم الخليفة عثمان بن عفان للكتاب والسنة بخصوص بيت المال
وحق ولي الأمر في التصرف فيه؟

فبأي رأي نأخذ، رأي عثمان أم رأي الشيخين قبله؟
وإذا تقاتل الصحابة، فكان عليّ عليه السلام وجمع كبير من أصحاب
رسول الله عليه السلام في جانب وطلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة وجمع
من الصحابة في جانب آخر، فبأي هدى نأخذ؟

وتقاتل عليّ عليه السلام أمير المؤمنين، ومعه جمع كبير من أصحاب
رسول الله عليه السلام ... و معاوية وعمرو بن العاص، وهما كانا من
أصحاب رسول الله عليه السلام، ومعهم عبدالله بن عمرو بن العاص تقاتلوا
طويلاً، وذهب جمع غفير من المسلمين من أصحاب القبلة شهداء
وقتل في هذا القتال.

فبرأي أيهم نأخذ؟

وعرض عبدالرحمان بن عوف الخلافة على عليّ عليه السلام أمير
المؤمنين عليه السلام يوم الشورى، فقال: «أبايعك على كتاب الله وسنة
رسوله وسيرة الشيخين أبي بكر وعمر».

فقال عليّ عليه السلام: «بل على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد

رأبي».

فعدل عبدالرحمان بن عوف عنه الى عثمان فقبل عثمان بالشرط.

إذن لعليّ عليه السلام رأي في الكتاب والسنة يختلف عن رأي الشيخين، ويرفض الإمام عليه السلام الخلافة بعرضها العريض، ولا يستجيب لهذا الشرط الذي شرطه عليه عبدالرحمان بن عوف. وقد أمر معاوية بقتل عمرو بن الحمق الخزاعي، الذي أبلته العبادة صبراً، وكان رأسه أول رأس حُمل في الإسلام، وأمر بقتل حجر بن عدي الكندي صبراً، وكانا من فضلاء الصحابة رحمهما الله، قتلهما معاوية وقتل أصحابهما لأنهما لم يسبا علياً عليه السلام.

فبهدي من نفتدي، بهدي القاتل أم بهدي المقتول!!؟
إنّ هذه الأسئلة بحاجة الى الإجابة، ولا نطالب البراك بالجواب، ولا نريد أن نخوض معه في هذا الأمر.

ولكنّا نقول له رأينا في ذلك، وله أن يقبل، وله أن لا يقبل. وهو أن رسول الله عليه السلام عيّن من بعده أهل بيته عليهم السلام مرجعاً للأمة لفهم الكتاب والسنة، ولشرح المجمل منهما، وتوضيح ما كان يحتاج منهما الى توضيح وشرح وتفسير.

فقد روى أصحاب الصحاح والمسانيد عن رسول الله عليه السلام أنه قال، واللفظ للترمذي في صحيحه: «إني تركت فيكم، ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله جبل ممدود من السماء الى

الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

أخرجه (الترمذي) في الصحيح و (النسائي) و(الامام أحمد في مسنده) و(الطبراني) و(الحاكم) و(مسلم في الصحيح) و(ابن سعد) ورواه (السيوطي) و(المتقي في (الكنز) وابن حجر في (الصواعق) وغيرهم من الحفاظ والمحدثين وحملة الحديث النبوي، ولا طاقة لنا باحصائهم في هذه العجالة.. وجملة من طرقه صحيحة، وناهيك أن(مسلم) و (الترمذي) ممن أخرج هذا الحديث عن رسول الله ﷺ، في صحيحيهما.

كما صحَّ عن أهل البيت ﷺ: أن ما يذكرونه في تفسير الكتاب والسنة وتوضيحها وشرح ما كان مجملاً منهما، وما يذكرونه من حكم إنما هو من حديث رسول الله ﷺ، وليس شأنهم في ذلك شأن المجتهدين الذين يجتهدون في الكتاب والسنة.

والأحاديث عنهم ﷺ متواترة في هذا المعنى، وطرقها صحيحة ولا مجال للتشكيك في هذا ولا ذاك.

نحن لا ندعو البراك الى قبول هذه الحقيقة التي صح فيها الحديث عن رسول الله ﷺ، ولا نجعلها أساساً للوحدة، ولا نرفض الوحدة مع من يخالفنا في ذلك.

ولكنني أتساءل هل يجوز أن نجعل الرجوع الى رأي الصحابة

واجتهادهم أساساً للتقريب، ونرفض التقريب مع الذين يأخذون
بحديث أهل البيت عليهم السلام في فهم الكتاب والسنة؟ ولماذا؟
* * *

إتباع الكتاب والسنة

يقول (البراك) في مقابلته، ويكرّر أكثر من مرّة: «أن الشيعة يخالفون الكتاب وسنة رسول الله ﷺ ويقول البراك: «ان الرفضة من أبعد عن الناس عن الحقّ وأكثرهم مخالفة للكتاب والسنة». ولا أريد أن أسهب في هذا الموضوع في هذا المقال، فلم اكتب المقال ليكون بحثاً علمياً، وإنما كتبتّه للتنبيه على مواضع الخطر في الثقافة والإعلام والصحافة المعاصرة في العالم الإسلامي. وفقهاء الشيعة - من دون استثناء - منذ أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام الى اليوم يصرحون بأن مصادر الفقه هي الكتاب وسنة رسول الله ﷺ (وحديثاً أهل البيت من حديث رسول الله ﷺ وفي امتداده) والإجماع⁽¹⁾.

وأما العقل فقد اختلفت فيه كلمات فقهاء الشيعة بين المدرستين الأصولية والأخبارية. ولا خلاف بين فقهاء الشيعة في ما عدا ذلك.

(1) تختلف المدرسة الأخبارية عن المدرسة الأصولية عند الشيعة في حجّة الإجماع اختلافاً يسيراً لا تمسّ جوهر المسألة التي نشير إليها.

وليس معنى حجية الكتاب إلغاء القواعد التي يذكرها
المفسّرون والفقهاء وعلماء الأصول في تفسير كتاب الله، وإلغاء
المنهج العلمي لفهم آيات القرآن الكريم.

وليس معنى حجية السنّة تصديق كل رواية من أي راو في أي
كتاب، وإنّما يؤصّل العلماء لقبول الرواية أصولاً معروفة في إسناد
الرواية الى رسول الله ﷺ وأصولاً معروفة في دلالة الرواية.
فإذا صحت الرواية من حيث الإسناد، وتمّت من حيث الدلالة،
فلا يتردد فقيه شيعي أو سني في التمسك بالرواية.

وليس معنى هذا الكلام أن يتفق فقهاء الشيعة وعلمائهم مع
غيرهم من الفقهاء والعلماء في قواعد الجرح والتعديل، في إسناد
الرواية، أو القواعد الأصولية المعروفة في دلالة الرواية... فإنّ بين
علماء الجرح والتعديل وعلماء الأصول من أهل السنة أنفسهم، من
الاختلافات في ذلك أكثر ممّا هو قائم بين فقهاء الشيعة والسنة، أو
مثله على الأقل.

وإذا تمّت هذه الحقائق، وهي تامّة، فأنا أتحدّى (البراك) أن
يذكر لي فقيهاً من فقهاء الشيعة أو عالماً من علمائهم، يعترفون به،
قد خالف آية من القرآن الكريم ورفض أن يأخذ بها، أو خالف
حديثاً واحداً من أحاديث رسول الله ﷺ صح صدوره عن رسول
الله ﷺ وتمت دلالته.

وأتحده أن يذكر لنا أمراً واحداً أجمع عليه فقهاء المسلمين
جميعاً أو علماءهم، وخالفه فقيه من فقهاء الشيعة.

* * *

الموقف من أم المؤمنين عائشة:

يقول البراك: «ويكفرون عامة الصحابة، وفي مقدمتهم أبو بكر
وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها،
ويرمونها بما برأها الله منها».

أقول: لا أعرف كلاماً أسوأ من هذا الكلام في الاستهانة
بحرمات المسلمين، واستسهال الافتراء عليهم، ورميهم بما يتبرأون
منه.

إنّ إتهام الشيعة بأنهم يرمون أم المؤمنين عائشة، لا يقل إثماً
وإفكاً وشناعة عن الذين نسبوا الإفك الى أم المؤمنين عائشة من
المنافقين يومذاك.

وها هو ذا بين يدي الباحثين والعلماء اليوم ما يقرب من مئة
تفسير لعلماء الشيعة مطبوع رائج في الأسواق، ويسهل اليوم الاطلاع
على الكثير منها بواسطة أجهزة الحاسوب بأيسر جهد... فهل تجدون
في تفسير واحد من التفاسير الكثيرة التي كتبها علماء الشيعة
المعتمدون في تفسير الآيات 11 - 19 من سورة النور، شيئاً مما

يقوله البراك في نسبة هذا الإفك الى شيعة أهل البيت عليهم السلام؟
نعم، نحن لا نتساهل في أمر خروجها على أمير المؤمنين عليه السلام
في حرب الجمل، ولا نصححه، ولا نقول: إنها اجتهدت فأخطأت،
كما يقول بعضهم.

الموقف من أصحاب رسول الله عليه السلام:

قرأنا للبراك في النص المتقدم أن الشيعة: « يكفرون عامة
الصحابة وفي مقدمتهم أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة رضي الله
عنهم».

أقول: إن الشيعة برءاء من هذا الإتهام والإفراء، وليس من رأينا،
ولا رأي أحد من المتقدمين من علماء الشيعة المتقدمين منهم
والمتأخرين منهم تكفير أحد من الصحابة، فضلاً عن عامتهم، كما
يقول البراك. ولا ننفي هذه النسبة عن بعض الغلاة من فرق الشيعة،
غير أننا لا نقول بقولهم، ولا نقرهم على ذلك، ولسنا منهم في شيء.
ولكننا لا نقول بعدالة الصحابة جميعاً، كما يقول البعض، وفي
أصحاب رسول الله عليه السلام من لا نتردد في نفي العدالة عنه، مثل معاوية
بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، ولا نأخذ بروايتهم ولا درايتهم .
وأما حديث الارتداد بعد رسول الله عليه السلام، فقد ورد في صحاح
أهل السنة ومسانيدهم أكثر مما ورد في كتبنا ورواياتنا، ونحن نشير

الى بعض مواضع هذه الروايات في الصحاح الثلاثة المعتمدة عند أهل السنة (صحيح البخاري وصحيح مسلم وصحيح الترمذي) ومستدرك الحاكم على الصحيحين ولك أن تتأكد من صحة هذه العناوين بأيسر جهد.

1 - صحيح البخاري، كتاب الفتن باب 1 - ح 7049 التسلسل العام، ط دار الفكر.

2 - صحيح البخاري، نفس الباب ح 7050 و7051 التسلسل العام ط دار الفكر.

3 - صحيح البخاري، التسلسل العام 3349، دار الفكر.

4 - صحيح البخاري ح 3447 من التسلسل العام.

5 - صحيح البخاري رقم 6576 من التسلسل العام.

6 - صحيح البخاري باب كيف الحشر، رقم 6526 من التسلسل العام.

7 - صحيح البخاري ح رقم 6582 و6583 من التسلسل العام.

8 - صحيح مسلم 8 : 157، كتاب الجنة وصفة نعيمها، دار الفكر.

9 - المستدرك على الصحيحين 447 : 2 ط دار المعرفة، بيروت.

10 - صحيح الترمذي 5 : 322 ح رقم 3167 (التسلسل العام) ط مصطفى البابي الحلبي.

ونصوص أخرى كثيرة بهذا المعنى وردت في صحاح أهل السنة كما ورد في كتب الشيعة، فما فسّرتم به تلك النصوص ففسّروا به النصوص التي وردت في كتب الشيعة... أما نحن فنتبرأ من القول بتكفير أصحاب رسول الله ﷺ وزوجاته أمّهات المؤمنين، كما يقول البراك...

وفيما يلي أذكر شطراً من دعاء الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام لأصحاب رسول الله ﷺ وهو الإمام الرابع من أئمة أهل البيت عليه السلام، الذين يتبعهم شيعة أهل البيت عليه السلام ويوالونهم. يقول عليه السلام، كما في الصحيفة السجادية (الدعاء الرابع):

«اللهم وأصحاب محمد [عليه السلام] خاصة، الذين أحسنوا الصحابة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه، وأسرعوا الي وفادته، وسابقوا الي دعوته، واستجابوا له. حيث أسمعهم حجّة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، وانتصروا به، ومن كانوا منطوين على محبته، يرجون تجارة لن تبور في مودته، والذين هجرتهم العشائر، إذ تعلقوا بعروته... فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وارضيهم من رضوانك... واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم، وخروجهم من سعة المعاش الي ضيقه.

اللهم وأوصل الي التابعين لهم بإحسان الذين يقولون: ﴿رَبَّنَا

اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ...⁽¹⁾، خير جزائك ...
اللهم وصل على التابعين من يومنا هذا الى يوم الدين، وعلى
أزواجهم وذرياتهم، وعلى من اطاعك منهم صلاة تعصمهم بها من
معصيتك، وتفسح لهم في رياض جنتك، وتمنعهم بها من كيد
الشیطان، وتعينهم بما استعانوك عليه من بر...». الى آخر الدعاء.
وهذا الذي يقوله الإمام زين العابدين عليه السلام هو رأينا ودعاؤنا
لأصحاب رسول الله عليه السلام الذين أحسنوا الصحبة والإتباع، وللتابعين
لهم بإحسان، ولا نختلف في رأينا ومواقفنا عن رأي أهل البيت عليهم السلام
وموقفهم.

* * *

السب:

وأما مسألة (السب) فليس من ثقافتنا، وقد سمع أمير
المؤمنين عليه السلام قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام، فبيل حربهم
بصفين، فقال عليه السلام:

«إني أكره لكم أن تكونوا سبّيين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم،
وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقتلتم
مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا

(1) الحشر: 10 .

وبينهم، واهداهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به». نهج البلاغة خطبة (206) ولكنّ معاوية بن أبي سفيان وضع في الإسلام أساس هذه (البدعة) وأمر الناس بسبّ عليّ عليه السلام في العراق والشام، كما يقول أبو عثمان الجاحظ، وخطب الخطباء بذلك على منابر الإسلام، وصار ذلك سنة في أيام بني أمية الى أن قام عمر بن عبدالعزيز، فزال ذلك.

وقال الجاحظ: إن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة: اللهم إن أبا تراب ألحد في دينك، وصدّ عن سبيلك فالعنه لعناً وبيلاً، وعذبه عذاباً أليماً، وكتب بذلك الى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشار بها على المنابر الى خلافة عمر بن عبدالعزيز⁽¹⁾.

وروى الطبري في حوادث سنة 51 هـ (6/108) وابن الأثير في الكامل (3/202): أن معاوية استعمل المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة 41 هـ فلما أمره عليها دعاه، وقال: «قد أردت ايضاءك بأشياء كثيرة، أنا تاركها اعتماداً على بصرك، ولست تاركاً ايضاءك بخصلة: لا تترك شتم عليّ وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لاصحاب علي عليه السلام والاقضاء لهم».

(1) شرح الخطبة السابعة والخمسين من خطب نهج البلاغة في شرح ابن أبي الحديد .

وأمر معاوية سعد بن أبي وقاص بسب علي عليه السلام، فقال، كما يرويه (مسلم) و(الترمذي) في الصحيح ويرويه (النسائي) في الخصائص العلوية في فضائل علي عليه السلام... فقال: «ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبّه؛ ولئن تكون لي واحدة منهن أحبّ لي من حمر النعم».

فكان لهذه السياسية الأموية المشؤومة آثار سيئة في تاريخ الاسلام، ولا يزال هذا الجرح الذي أحدثه معاوية في خلافته ينزف دماً الى يومنا هذا.

نعم، يبقى أن نقول أننا نتبرأ من اعداء آل محمد صلى الله عليه وآله، وهو أمر واضح في ثقافتنا، ولا نخفيه. فهل يعيب علينا أحد البراءة من النواصب الذين ينصبون العداة لأهل البيت عليهم السلام، ويعلنون ذلك.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم جُلّ علياً وفاطمة والحسن والحسين بالكساء: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم وعدو لمن عاداكم».

ذكره ابن حجر في (الصواعق).

وأخرج ابن حنبل في المسند من حديث أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله نظر الى عليّ وفاطمة والحسن والحسين، فقال: «إنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حرب عليّ حربي وسلمه سلمتي».

ولا حاجة الى استخراج مصادر هذه الأحاديث فهي معروفة ومشهورة، ولا يسع أحداً يحترم علمه أن ينكرها أو يشكك فيها. ونحن نتبرأ من الذين ينصبون العداة لأهل البيت عليهم السلام، الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وأمرنا الله بمودّتهم في محكم كتابه.

تنزيه القرآن من التحريف:

يقول البراك بأن الشيعة يقولون بتحريف القرآن . يقول: «علماء الشيعة يقررون أن القرآن محرف».

أقول: قد كثر الكلام في هذه المقولة وفي هذه النسبة الظالمة للشيعة، وقد أعلن الشيعة رأيهم الصريح في تنزيه القرآن من التحريف.

وصرح بذلك أعلامهم من المتقدمين والمتأخرين، صرح بذلك:

1 - الشيخ الصدوق من متقدمي محدثي الإمامية توفي عام (381 هـ) في (الاعتقادات) ص 59.

2 - الشيخ المفيد من متقدمي الكلاميين والأصوليين من علماء الإمامية توفي عام (413 هـ) راجع (المسائل السروية) من مجموعة مصنفات الشيخ المفيد: 84 - 82 : 7.

3 - السيد المرتضى من متقدمي فقهاء الإمامية راجع مقدمة

مجمع البيان في تفسير القرآن.

4 - الشيخ الطوسي من كبار فقهاء الإمامية المتقدمين ومن كبار المفسرين والمحدثين منهم توفي عام (460 هـ)، راجع تفسير التبيان 270 - 269 : 1.

5 - العلامة الحلي من فقهاء الإمامية والكلاميين منهم راجع (اجوبة المسائل المهنية : 121).

6 - المحقق الكركي من كبار فقهاء الإمامية المتأخرين (940 هـ) راجع (التحقيق في نفي التحريف: 16 والبيان: 234).

7 - الحر العاملي من المحدثين الكبار المتأخرين توفي سنة (1104 هـ) راجع كتاب (الفصول المهمة): 168 له.

8 - الشهيد القاضي نور الله التستري رحمته الله من كبار الكلاميين المتأخرين للإمامية استشهد عام (1019) انظر كلامه في (آلاء الرحمان في تفسير القرآن: 25 - 26).

أما المعاصرون فقد كتبوا فصولاً مطوّلة في تنزيه القرآن من التحريف، وأفردوا كتباً ورسائل خاصة، أذكر من ذلك الإمام الخوئي في كتابه «البيان»، أفرد بحثاً بعنوان نفي التحريف عن القرآن، والمحقق البلاغي والعلامة الطباطبائي في تفسيريهما، والإمام الخميني في أبحاثه الأصولية، والعلامة العسكري في أبحاثه القرآنية، أفرد لهذه المسألة دراسة موسّعة، والعلامة محمد هادي

معرفة خصّ هذا البحث بدراسة موسّعة، والعلامة الشيخ جوادى
الأملى أفرد له كتاباً بعنوان «فصل الخطاب في نفي التحريف عن
كتاب رب الأرباب» وغيرهم من علماء الشيعة، عدد كبير لا طاقة
لي بإحصائهم في هذه العجالة.

فإذا وجدنا هنا وهناك من علماء الشيعة من يقول بتحريف
القرآن، فهو رأي شاذ ينسب إلى صاحبه... ولا ينسب إلى الطائفة
برمتها، كما يفعل البراك، ولعلك إذا راجعت الاتقان للسيوطي
(النوع السابع والأربعون) في الناسخ والمنسوخ، والمدونات
الحديثية من قبيل صحيح البخاري ومسلم ومسنند احمد بن حنبل
وسنن النسائي وغير ذلك من المدونات الحديثية عند أهل السنة
تجد بأنهم يقولون بوجود آيات عديدة وكثيرة من القرآن لم يرد
لها ذكر في المصحف الموجود مع بقاء حكمها، وأسموها بـ«نسخ
التلاوة».

وفي رأينا أن هذه الروايات كلها من الشواذ والروايات الضعيفة،
سواءً وردت في مدوناتنا الحديثية أم مدونات أهل السنة، ويبقى
كتاب الله بمنأى من أي زيادة أو نقصان.

ولا أحبّ أن أسهب في هذا البحث أكثر من هذا، فلا يوجد
اليوم في مشارق الأرض ومغاربها، وفي القارات الخمسة مصحف
غير هذا الذي يتداوله المسلمون اليوم وأمس، عند الشيعة والسنة،

والذي يقول غير ذلك يتحمّل إثم هذا الإفتراء بين يدي الله تعالى
والمسلمين.

ولشيعة أهل البيت (عليهم السلام) ما يقرب من مئة كتاب في تفسير
القرآن فهل وجدتم لعلماء شيعة أهل البيت (عليهم السلام) تفسيراً لغير هذا
المصحف الذي يتلوه المسلمون، شيعة وسنة، ليلاً ونهاراً، ولو كان
للشيعة كتاب آخر لبان في هذه التفاسير.

* * *

عصمة أهل البيت عليهم السلام

يقول البراك: «يعتقدون في الأئمة أنهم يعلمون الغيب ويدبرون الكون، وأنهم معصومون عن مجرد الخطأ».

أقول: أما علم الغيب... فإنّ الله تعالى وحده هو عالم الغيب والشهادة، والأئمة عليهم السلام لا يعرفون إلا ما يعلمهم الله من الغيب والشهود... ومن دون أن يعلمهم الله لا يعلمون شيئاً.

وهل يستكثر أحد أن يعلم الله تعالى بعض أوليائه الصالحين الصديقين من أنبيائه وأوصيائهم عليهم السلام. وعباده الصالحين، ممّا لا يعرفه الآخرون.

وأما علمهم بالشرعية وحدودها وأحكامها فعن رسول الله عليه السلام، ولم يكونوا من أهل الرأي والاجتهاد، وإنما يحدثون الناس بما إنتقل إليهم من علم رسول الله كابرأ بعد كابر.

آية التطهير:

وأما عصمة أهل البيت عليهم السلام فقد نزلت فيهم آية محكمة من كتاب الله صريحة في عصمتهم وهي الآية 33 من سورة الأحزاب: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيراً

وأهل البيت الذين أنزل الله تعالى فيهم يومئذ آية التطهير هم رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. وعلى نحو الإجمال أُشير في هذه النقطة من الحديث الى أمرين:

1- إن آية الأحزاب واضحة الدلالة على (العصمة).

2- وإن المقصودين بالتطهير في هذه الآية هم رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، الذي جَلَّلهم رسول الله بالكساء عند نزول الآية الكريمة، وسوف يكون حديثي في هذين الأمرين على نحو الإشارة والإجمال... فلم يكن قصدي في هذا المقال أن أدخل بحثاً في النقاط التي أثارها الشيخ البراك في مقابله لصحيفة المدينة وإليك هذين الأمرين:

1- دلالة آية الأحزاب على عصمة أهل البيت عليهم السلام

ودلالة الآية الكريمة تتضح من خلال كلمتين وردتا في آية

التطهير:

1 - الإرادة الإلهية لتطهير أهل البيت عليهم السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

وحصر هذه الإرادة في أهل البيت دون غيرهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ﴾.

ومعنى الآية الكريمة هنا: دلالة هاتين الكلمتين على أن الله تعالى يريد التطهير وإذهاب الرجس عن أهل البيت، حصراً، دون غيرهم.

وهذا هو معنى الحصر، و كلمة «إنما» من أقوى أدوات الحصر في اللغة العربية.

2- والإرادة في الآية الكريمة تكوينية وليست تشريعية... إذ لا معنى لحصر إرادة الله تعالى في الشريعة بتطهير أهل البيت عليهم السلام فقط، فإن الله تعالى يريد «بالإرادة التشريعية» تطهير عامة عباده. يقول تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁽¹⁾.

إذن فلا تكون هذه الإرادة الإلهية بتطهير أهل البيت عليهم السلام، حصراً، إلا إرادة تكوينية، لا غير، فإن الله تعالى يريد بتشريع الدين تطهير عامة الناس، ولا يمكن أن يخص أهل البيت به دون غيرهم. لأنّ تشريع الدين، الذي هو تطهير الناس، لعموم الناس وليس لفئة خاصة من الناس.

3- وإذا أراد الله تعالى شيئاً بالإرادة التكوينية، فلا يمكن أن يتخلف مراده تعالى عن إرادته. يقول تعالى:

(1) المائدة: 6.

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾⁽¹⁾.

فلا يمكن أن يتخلف ما يريد الله تعالى عن إرادته، بخلاف الإرادة التشريعية، فإن الله يريد للناس جميعاً الإيمان والتقوى والصدق والأمانة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وكثير من الناس يتخلفون عما يريد الله تعالى لهم من الإيمان والتقوى والصلاح.

4 - وعليه فلا بد من أن يتحقق الطهر ويذهب الرجس من أهل البيت عليه السلام، ولا يمكن أن يصدر عن أهل البيت عليه السلام ما ينافي هذا الطهر الذي أراده الله تعالى لهم، ولا يمكن أن يصدر منهم رجس (مطلقاً) في الأفعال والأقوال ونيات القلوب بعد أن أذهب الله تعالى عنهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

وهذا هو معنى العصمة: امتناع صدور الرجس والذنب عن المعصوم⁽²⁾.

(1) يس: 82 .

(2) ولا يسعنا المقام أن نجيب على الاعتراض الذي يمكن أن يخطر على بال الإنسان، وهو أن تقوى المعصومين وصلاحهم وعدالتهم على هذا التفسير يكون بإرادة من الله تعالى وليس بإرادتهم، لأن الله تعالى أراد لهم ذلك، فلا يستحقون الثواب، كما يستحق غيرهم الثواب على صلاحهم وتقواهم وعدالتهم، لأن التقوى لم يتم بإرادتهم وإنما بإرادة الله.

2- مَنْ هم أهل البيت ؟

من هم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً؟

اختلفت كلمة الأعلام في تحديد أهل البيت عليهم السلام.

فقيل: هم زوجات رسول الله عليه السلام حصراً، دون الذين جمعهم رسول الله عليه السلام تحت الكساء وهو قول لعكرمة وكان ينادي به في الأسواق.

وقيل: زوجات رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.
وأضاف إليهم بعضهم بني العباس وبني جعفر.

ولكن الذي نفهمه نحن من الروايات الصحيحة العديدة هو أن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس هم رسول الله عليه السلام، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام.

وهم الذين أدخلهم رسول الله تحت الكساء، وقال: « اللهم هؤلاء أهل بيتي»، كما نقرأ ذلك فيما انتقينا من الروايات في هذا الباب، باتفاق أهل القبلة، كما يقول المحقق السيد عبد الحسين شرف الدين: وهم الذين خرج بهم رسول الله عليه السلام لمباهلة نصارى

أقول: لا يسعني الجواب على هذا السؤال فعلاً، وقد فصلت الجواب عنه في كتاب (آية التطهير) بصورة مفصلة، كما أجاب عنه آخرون من أعلام الإمامية الذين فسروا هذه الآية المباركة.

نجران، باتفاق المحدثين والمفسرين وأرباب السير.

وفيما يلي نستعرض نماذج من هذه الروايات الحاضرة لأهل البيت عليهم السلام في الخمسة الذين أشرنا إليهم، عليهم الصلاة والسلام، وهم المعروفون بـ (أهل الكساء) إشارة الى الكساء الذي جلّهم رسول الله عليه السلام به.

ومن أراد التفصيل في الروايات الحاضرة لأهل البيت عليهم السلام فعليه بمراجعة تفسير « الدر المنتور » لأبي بكر عبدالرحمن بن محمّد، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) في تفسير آية التطهير، في الجزء الخامس من تفسيره، و«جامع البيان» في تفسير القرآن لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت 310 هـ) في تفسير آية التطهير في الجزء 22 من تفسيره، والمراجع الأخرى في تفسير هذه الآية الكريمة.

وإليك النماذج التي اخترناها لك:

روى الحاكم في كتابه « المستدرک علی الصحیحین » عن عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب أنّه قال: «لما نظر رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى الرحمة هابطة قال: «أدعوا لي، ادعوا لي»، فقالت صفيّة: من يارسول الله؟ قال: «أهل بيتي عليّاً وفاطمة والحسن والحسين»، فجيء بهم فألقى عليهم النبي صلّى الله عليه وآله كساءه ثمّ رفع يديه ثمّ قال: «اللهم هؤلاء آلي فصلّ علي محمّد وآل

محمّد» وأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

قال الحاكم «هذا حديث صحيح الإسناد»⁽¹⁾.

وروى كلّ من الطبري وابن كثير في تفسيريهما والترمذي في صحيحه والطحاوي في (مشكل الآثار) واللفظ للأول: عن عمر بن أبي سلمة، قال:

«نزلت هذه الآية على رسول الله صلّى الله عليه وآله في بيت أمّ سلمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ...﴾ فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة فأجلسهم بين يديه، ودعا عليّاً فأجلسه خلفه، فتجلّلى هو وهم بالكساء ثمّ قال: «هؤلاء أهل البيت فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»⁽²⁾.

وفي رواية ابن عساكر بعده: «قالت أمّ سلمة: إجعلني معهم، قال رسول الله ﷺ: «أنت بمكانك، أنت على خير».

وفي حديث واثلة بن الأسقع وأمّ سلمة.

«أجلس عليّاً وفاطمة بين يديه، والحسن والحسين، كلّ واحد منهما، على فخذه أو في حجره»، كما رواه عن واثلة، الحاكم في

(1) مستدرک الحاكم على الصحيحين 3: 147 - 148.

(2) صحيح الترمذي في تفسير آية التطهير من سورة الأحزاب، وتفسير ابن كثير 3: 485

في تفسير آية الأحزاب وتفسير الطبري 22: 6.

مستدرکه وقال: «صحيح على شرط الشيخين»، والهيثمي في «مجمع الزوائد».

وفي تفسير الآية في «الدر المنثور» للسيوطي عن أبي سعيد قال: كان يوم أم سلمة أم المؤمنين فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بحسن وحسين وفاطمة وعلي فضمهم ونشر عليهم الثوب، والحجاب على أم سلمة مضروب، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم اذهب عنهم الرجس، أهل البيت، وطهرهم تطهيراً» قالت أم سلمة (رض): فأنا معهم يا نبي الله؟ قال: «أنت على مكانك وأنت على خير»⁽¹⁾.

وفي تفسير الطبري - أيضاً - عن أم سلمه، قالت: فاجتمعوا حول النبي عليه السلام على بساط، فجللهم النبي بكساء كان عليه ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً»، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط. قالت: فقلت: يا رسول الله! وأنا؛ فوالله ما أنعم، وقال: «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ»⁽²⁾. وفي تفسير الطبري وذخائر العقبى للمحب الطبري، واللفظ للأول عن أبي سعيد الخدري قال:

(1) تفسير آية التطهير بتفسير الدر المنثور للسيوطي 5: 198.

(2) تفسير آية التطهير من تفسير الطبري 22: 7.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «نزلت هذه الآية في خمسة فيَّ وفي عليٍّ وحسن وحسين وفاطمة» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (1) (2) .
وفي «مجمع الزوائد» للهيثمي عن أبي سعيد الخدري:
«أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فعدّهم في يده، فقال: خمسة: رسول الله ﷺ وعليٌّ وفاطمة والحسن والحسين ﷺ» (3) .

ملاحظات على الروايات الشارحة لآية التطهير

1 - يبدو أنّ رسول الله ﷺ كان حريصاً على تحديد وتشخيص عنوان «أهل البيت» الذي نزل فيه قرآن من الله تعالى، والمنع عن استعمال هذه الكلمة في غير أهله، ومن إدخال من ليس منهم فيهم. فكان ﷺ يشخصهم بأسمائهم كما في رواية عبد الله بن جعفر: «فيقول ﷺ أدعوا لي أدعوا لي، فتقول صفة: من. فيقول ﷺ: «أهل بيتي عليّاً وفاطمة والحسن والحسين»، ثم يؤكّد ﷺ هذا

(1) الأحزاب: 33.

(2) تفسير الطبري تفسير آية التطهير 22: 5 وذخائر العقبى للمحبّ الطبري: 24 والدّر المنثور 5: 198 .

(3) مجمع الزوائد للهيثمي 5: 165 - 167 باب فضائل أهل البيت .

الحصر والتشخيص بقوله: «اللهم هؤلاء آلي، فصلّ على محمد وآل محمد»، فينزل الله فيهم قرآناً محكماً: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ، أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾⁽¹⁾.

ولا يخفى ما في هذه الكلمة: «اللهم هؤلاء آلي» من الدلالة على حصر أهل البيت عليهم السلام فيهم، ونفيه عن غيرهم، لكل من عرف أساليب العرب في الكلام.

2 - وإمعاناً في تشخيصهم وتحديددهم يحصرهم عليهم السلام تحت كساء، كما في رواية أم سلمة رحمها الله:

«دعا رسول الله حسناً وحسيناً وفاطمة، فأجلسهم بين يديه، ودعا علياً فأجلسه خلفه، فتجلّل هو وهم بالكساء، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وهطّهم تطهيراً»⁽²⁾.

وهذا أبلغ ما يكون في الحصر، فكأنما أراد رسول الله عليه السلام أن يقطع على كل أحد عذر الالتباس، فيتجاوز دلالة الكلام بحصرهم تحت كساء واحد، ليكون أبلغ في الحصر، وأقوى في الدلالة.

3 - وتتمنى أم المؤمنين أم سلمة (رحمها الله) التي نزلت الآية الكريمة في بيتها، أن تكون هي من أهل البيت، بعد أن جمع رسول

(1) برواية الحاكم في مستدرک الصحيحين كما يأتي.

(2) برواية الطبري، وابن كثير، في تفسيرهما والترمذي في صحيحه، والطحاوي في مشكل الآثار.

الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين، واجتمع بهم تحت الكساء
وقال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتي، أذهب عنهم الرجس، أهل البيت،
وطهرهم تطهيراً».

فتقول أم سلمة لرسول الله ﷺ:

«فأنا معهم يا نبي الله؟».

فيقول ﷺ لها:

«أنتِ على مكانك، وأنتِ على خير»⁽¹⁾.

فلا ينفي ﷺ أنها رحمها الله على خير، ولكن ينفي أن تكون من
«أهل البيت» وهي زوجته ومن أمهات المؤمنين.

ولا يبقى بعد ذلك - والرواية صحيحة - مجال في إدخال أمهات
المؤمنين في عداد المقصودين بأهل البيت ﷺ، في هذه الآية
الكريمة، بعد النفي الصريح القاطع من رسول الله ﷺ لدخول أم
سلمة رحمها الله، وهي من زوجات رسول الله ﷺ ومن أمهات
المؤمنين فيهم.

4 - ثم يصرح رسول الله ﷺ في ذلك تصريحاً لا يترك لأحد

شكاً بعده، فيقول ﷺ:

(1) رواها السيوطي في الدر المنثور، عن أبي سعيد .

«نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ، وفي عليّ، وحسن وحسين وفاطمة»⁽¹⁾.

فهل يبقى لأحد شكّ، بعد هذا البلاغ النبوي الصادع في المقصود من «أهل البيت» في عصر نزول الآية الكريمة. وهل يشكّ أحد بعد كلّ هذا الايضاح أنّ الآية الكريمة لم تشمل حين نزولها غير أولئك الخمسة الطاهرة: رسول الله ﷺ، وعليّ، وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام).

يقول الإمام شرف الدين رحمه الله:

«وقد اجتمعت كلمة أهل القبلة من أهل المذاهب الإسلامية كلّها على أنه ﷺ لما نزل الوحي بها - بآية التطهير - عليه، ضمّ سبطيه وأباهما وأمهما إليه، ثم غشّاهم ونفسه بذلك الكساء، تمييزاً لهم عن سائر الأبناء والأنفس والنساء، فلمّا انفردوا تحته عن أسرته كافّة، واحتجوا به عن بقية أمته بلّغهم الآية، وهم على تلك الحال، حرصاً على أن لا يطمع بمشاركتهم فيها أحد من الصحابة والآل، فقال مخاطبهم، وهم في معزل عن الناس كافّة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾».

(1) رواها الطبري في التفسير، والمحب الطبري في ذخائر العقبى، عن أبي سعيد رحمه الله، ورواها ابن كثير في التفسير 3: 485.

فأزاح عليه السلام بحجبهم في كسائه حينئذ حجب الريب، وهتك سدف الشبهات، فبرح الخفاء بحكمته البالغة، وسطعت أشعة الظهور ببلاغه المبين، والحمد لله رب العالمين⁽¹⁾.

5 - وإمعاناً في تحديد «أهل البيت» في الخمسة الذين نزلت فيهم الآية الكريمة، ونفي غيرهم، وإعلاماً للأمة بما لا يقبل الشك والتأويل بأهل البيت وعددهم في عصر نزول الآية الكريمة، أخذ رسول الله عليه السلام يتلو هذه الآية الكريمة كل يوم على باب بيت الزهراء عليها السلام، حيث يجمع علياً والزهراء والحسين عليهم السلام، بمراى ومسمع من المسلمين.

عن أبي برزة، قال:

«صلّيت مع رسول الله عليه السلام سبعة عشر شهراً، فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة عليها السلام فقال: الصلاة عليكم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ، أَهْلَ الْبَيْتِ، وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾⁽²⁾.

وعن ابن عباس، قال:

«شهدت رسول الله عليه السلام تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كل صلاة، فيقول: السلام عليكم ورحمة الله

(1) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء، للإمام شرف الدين، المطبوع في كتاب (الفصول

المهمة): 204 - 205.

(2) رواها في مجمع الزوائد .

وبركاته، أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ كل يوم خمس مرات⁽¹⁾.

وعن بن أنس بن مالك:

«صليت مع رسول الله ﷺ سبعة عشر شهراً، فإذا خرج من بيته
أتى باب فاطمة ؓ فقال: الصلاة عليكم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ كل يوم خمس
مرات»⁽²⁾.

وهي خطة إعلامية عجيبة عمل بها رسول الله ﷺ لإزالة
الالتباس عن «أهل البيت» في الآية الكريمة، وتحديدده وحصره،
بشكل لا يدع مجالاً لأحد في التلبس أو الالتباس، وإدخال من
ليس منهم فيهم، وإخراج من كان منهم عنهم.
ولأمر ما يكرّر رسول الله ﷺ هذه الحقيقة بأساليب مختلفة من
البيان، مقرونة بأساليب مختلفة من العمل.

فيسمّي أهل البيت حيناً بأسمائهم، ويحصرهم حيناً آخر حصراً،
فيقول: «اللهم هؤلاء آلي»، ويجمعهم تارة تحت كساء واحد

(1) رواها السيوطي في الدر المنثور.

(2) رواها الترمذي في الصحيح، وأحمد في المسند والطيالسي في المسند، والحاكم في
مستدرك الصحيحين، وابن الأثير في أسد الغابة، والطبري وابن كثير والسيوطي في
تفاسيرهم.

يجلّلهم جميعاً، ليس تحته أحد غيرهم. فتمنى أمّ سلمة - زوجته - أن تدخل معه، فيردّها ردّاً رقيقاً.

ويعدّدهم - تارة أخرى - بأسمائهم واحداً بعد واحد، ثم يأخذ بإعلام الأُمَّة بهذا البيت الطاهر ومن فيه، بذلك الأسلوب العجيب الذي ذكرناه، لمدة طويلة تختلف الروايات في تحديدها.

ويبقى أن نقول: حتى لو كان سياق الآيات من سورة الأحزاب سياق الخطاب لزوجات النبي ﷺ فلا يضرّ ذلك بما ذكرناه من حصر الآية الكريمة في الخمسة المطهّرة، دون غيرهم. وذلك لأن دلالة السياق لو تمّت فلا تزيد على أن تكون من الاجتهاد. والاجتهاد لا يقاوم النص. وقد قرأنا النصوص الصريحة بأنّ الخمسة الذين أذهب الله عنهم الرجس هم: رسول الله ﷺ، وعلي، وفاطمة، والحسن والحسين ﷺ.

تشريع الخمس

يقول البراك: «أما موقف الإمام علي (رضي الله عنه) من التشيع فهو بريء مما ينسب إليه من عقائد تخالف ما يعتقده بقية الصحابة كالفول بعصمة آل البيت وأخذ خمس أموال الرعية».

أقول: تشريع الخمس في القرآن الكريم في سورة الأنفال، وإن كان في مورد الحرب، ونزلت آية الغنيمة بعد معركة بدر، إلا أن دلالة الآية الكريمة أوسع من غنائم الحرب... وعلماء الأصول يقولون أن المورد لا يخصص الوارد.

يقول العلامة العسكري رحمته الله: ولو كانت الآية الكريمة تقصد وجوب الخمس مما غنموا في الحرب خاصة، لكان ينبغي أن يقول عز اسمه: واعلموا أنّ ما غنتم في الحرب، أو أنّ ما غنتم من العدى، لا أن يقول: ﴿أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾⁽¹⁾، ثم ذكر رحمه الله طائفة من الروايات الواردة في تعميم الخمس لأوسع من الحرب، فقال: وفي مسند أحمد وسنن ابن ماجه، واللفظ للأول عن ابن عباس: «قضى رسول الله في الركاز الخمس».

وفي صحيح مسلم والبخاري وسنن أبي داود والترمذي وابن

(1) الأنفال: 41.

ماجة وموطأ مالك ومسند أحمد «وفي الركاز الخمس» (راجع معالم المدرستين 2 : 115).

و«الركاز» كما في «لسان العرب» وغيره من المعاجم: قطع ذهب وفضة تُخرج من الأرض أو المعدن. وعليه فان الركاز يشمل الكنز والمعدن. وقد فرض رسول الله ﷺ فيه الخمس.. والروايات وردت في الأعم من الحرب والسلم وهي صريحة في وجوب الخمس في الكنز.

بين الشيعة والرافضة:

يفرق البراك بين الشيعة والرافضة... . ويرى أن الرافضة هم الذين يرفضون الشيخين وكثيراً من الصحابة... أقول: ونحن لا نعرف مصداقاً للرافضة... وانما الشيعة هم الذين يشايعون علياً ﷺ وأهل بيته في السلم والحرب، والحبّ والبغض. وهذا الاتباع في الحب والبغض والسلم والحرب لعليّ ﷺ وأهل بيته... مما أمر به رسول الله ﷺ وصحّ عنه ﷺ أنه قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم».

وقد روى هذه الرواية المحقق «محمد الأمدي» من «مسند ابن شيبه» و«سنن ابن ماجه»، و«الجامع الكبير»، و«صحيح ابن حبان»،

و«المعجم الأوسط»، و«تهذيب الكمال»، و«المستدرک»، و«الاصابة في تمييز الصحابة»، وغيرها من المصادر، وصحح الحديث⁽¹⁾. وانطلاقاً من ذلك فان شيعة علي هم الذين يتبعونه في الحب والبغض والسلم والحرب. فاذا كان البراك يقصد بالرافضة الغلاة فلسنا منهم، وإن كان يقصد معنى آخر، فلا نعرف له مصداقاً...

(1) عليّ عليه السلام ميزان الحق للآمدي ص 171 - 174.

تكفير المسلمين

يقول البراك: « وبغضّ النظر عن مواقفهم في تكفير بقية المسلمين ممن لا يؤمنون بمبادئهم».

أقول: قال الامام الصادق عليه السلام في خبر سفيان بن السمط: «الاسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، واقامة الصلاة، وايتاء الزكاة، وحج البيت، وصيام شهر رمضان».

وعن الصادق عليه السلام في خبر سماعة: «الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، والتصديق برسول الله ﷺ، وبه حققت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث، وعلى ظاهره جماعة الناس»⁽¹⁾.

وعن الامام الباقر عليه السلام في صحيح حمران ابن أعين: «والاسلام ما ظهر من قول وفعل، وهو الذي عليه جماعة الناس من الفرق كلها، وبه حققت الدماء، وعليه جرت المواريث، وجاز النكاح، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج، فخرجوا بذلك من الكفر»⁽²⁾.

(1) أصول الكافي 2: 25 باب ان الإيمان يشرك الاسلام الحديث 1 .

(2) المصدر نفسه 2 : 26 ح 5 .

هذه طائفة من الأحاديث ذكرناها شاهداً على تعريف (الإسلام) في مدرسة أهل البيت عليهم السلام عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وعلى هذا المعنى من الإسلام الذي يجمع الفرق الإسلامية كلها تجري المواريث والمناكح، ويخرج الناس عن الكفر، وتحقن الدماء.

وقال الصدوق رحمته الله من متقدمي محدثي الشيعة وأركانهم: «الإسلام هو الإقرار بالشهادتين، وهو الذي يحقن به الدماء والأموال، ومن قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فقد حقن ماله ودمه، إلا بحقهما، وعلى الله حسابهما»⁽¹⁾.

وكلمات فقهاء الشيعة على هذا المنوال من الصدر الأول الى اليوم، ولا أعرف في كلمات فقهاء الشيعة من يقول بتكفير المسلمين من أهل القبلة، ممن لا يقول بما يقول به الإمامية من ولاية أهل البيت عليهم السلام، ويبيح دماءهم وأموالهم.

وكل ما نجده في أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام وكلمات فقهاء هذه المدرسة هو أن شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله يحصن الدماء والأموال إلا بحقهما، وتجري عليهما المناكح

(1) الهداية: 10 باب الإسلام والإيمان .

والمواريث.

وقد ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام تأكيد على حقّ المسلم على المسلم (بشكل عام، وبغضّ النظر عن إنتمائه الى مذهب أهل البيت عليهم السلام).

يقول المعلى بن خنيس: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن حقّ المسلم على المسلم، فقلت له: ما حق المسلم على المسلم؟ قال أبو عبد الله: له سبع حقوق واجبات، ما منهن حقّ إلا وهو عليه واجب، إنّ ضيّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه نصيب.

قلت له: جعلت فداك، وماهي:

قال: أيسر حقّ منها أن تُحبّ له كما تُحبّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.

ثم يبسط الإمام عليه السلام الكلام في حقّ المسلم على المسلم⁽¹⁾.

يقول الشيخ المظفر في (عقائد الإمامية) في التعليق على هذا الحديث: وقد يتوهم المتوهم أن المقصود بالأخوة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام خصوص الأخوة بين المسلمين الذين من أتباعهم خاصة (شيعتهم خاصة)، ولكن الرجوع الى رواياتهم كلّها يطرد هذا

(1) الكافي 2: 135، ح 2 وسائل الشيعة 12: 205، الخصال 2: 350.

الوهم، ويكفي أن نقرأ حديث معاوية بن وهب قال:
قلت له - أي الصادق عليه السلام - : كيف ينبغي أن نصنع فيما بيننا
وبين خلطانا من الناس ممن ليسوا علي أمرنا؟
فقال: تنظرون الى ائمتكم الذين تفتدون بهم، فتصنعون ما
يصنعون، فوالله إنهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنازتهم
ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدون الأمانة إليهم⁽¹⁾.

(1) الكافي 2: 264 ح 4، وسائل الشيعة: 12 ط 2 ح 15497.

التحدي

وفي نهاية المقال يقول الشيخ البراك أنه قد تحدّى الشيعة أن يثبتوا بدليل صريح متصل السند أنهم قد أخذوا عن آل البيت عليهم السلام شيئاً من عقائدهم التي يختلفون فيها مع أهل السنة.

يقول البراك: « كتبت عدة موضوعات طالبت فيها الشيعة أن يثبتوا بدليل صحيح متصل السند على أحد من آل البيت، يثبت أنهم قد أخذوا عنهم شيئاً من العقائد التي يخالفون فيها المسلمين، وانتشرت هذه المقالات، ولكن لم يتقدم من شيوخهم ويقبل التحدي، رغم اني عرضت في بعضها جائزة قدرها مئة ألف دولار لمن يستطيع أن يأتي بدليل واحد صحيح يثبت ادعاءهم متابعة أهل البيت».

أقول: لعلّ السبب في عدم استجابة أحد من فضلاء الشيعة للتحدي ما يتضمنه التحدي من حيث الشكل والمضمون من إساءة الأدب استخدمها البراك في هذا التحدي.

أما من حيث الشكل فهو يقول: «شيئاً من العقائد التي يخالفون فيها المسلمين»... وهذا الكلام بمعنى أن الشيعة خارجون عن

الإسلام، وبحكم تكفير الشيعة على وجه الأرض⁽¹⁾، ولاشك أنه

(1) شيعة أهل البيت طائفة واسعة من المسلمين، يتبعون الكتاب والسنة ويلتزمون بما جاء به رسول الله (ص) من عند الله، ويعتقدون أن حديث أهل البيت (عليهم السلام) في امتداد حديث رسول الله.

وقد ورد في طائفة واسعة من الروايات عن رسول الله (ص): أنهم مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

راجع تفسير جامع البيان للطبري 30: 171 دار المعرفة بيروت في تفسير سورة البينة، وتفسير الدر المنثور في تفسير هذه الآية من سورة البينة والتفاسير الأثرية الأخرى في تفسير هذه الآية الكريمة من سورة البينة، ونذكر هنا نماذج من هذه الروايات:

روى السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ من سورة البينة: 7.

قال: «أخرج ابن عساکر عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا عند النبي (ص)، فأقبل علي (ص) فقال النبي (ص): والذي نفسي بيده: إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة. ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

ورواها العلامة عبدالرؤوف المناوي في (كنوز الحقائق: 82) ولفظها «شيعة علي هم الفائزون» قال: وأخرجه الديلمي.

وروي الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب المناقب، مناقب علي بن أبي طالب 9: 131. عن علي (ص) قال: «إن خليلي (ص) قال: يا علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضيين مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين»... رواه الطبراني في الأوسط.

وروى ابن حجر الهيثمي في الصواعق ص 96.

قال وأخرج الديلمي قال النبي (ص): يا علي إن الله قد غفر لك ولذريتك وولدك ولأهلك وشيعتك ولمحبي شيعتك فأبشر. (فضائل الخمسة من الصحاح الستة 2: 117 - 118)

= وعن أيوب السجستاني عن أبي قلابة قال: قالت أم سلمة (رض) سمعت رسول الله ﷺ يقول: شيعه علي هم الفائزون يوم القيامة. (بشارة المصطفى: 197)

علي وشيعته خير البرية:

روى ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده عن أبي الجارود عن محمد بن علي في تفسير قوله تعالى: ﴿أولئك هم خير البرية﴾ قال النبي ﷺ: أنت يا علي وشيعتك. (تفسير الطبري 30: 171 تفسير سورة البينة).

وأخرجه السيوطي في الدر المنثور عن جابر بن عبدالله الأنصاري، قال أيضاً أخرجه ابن عدي وابن عساكر مرفوعاً: «علي خير البرية».

وقال أيضاً أخرج ابن عدي عن ابن عباس، قال لما نزلت ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ قال رسول الله ﷺ لعلي أنت وشيعتك يوم القيامة راضيين مرضيين. (الدر المنثور للسيوطي تفسير سورة البينة)

وقال أيضاً أخرج ابن مردويه عن علي ﷺ قال: قال لي رسول الله (ص): ألم تسمع قول الله عز وجل: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾؟ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدك الحوض. إذا جاءت الأمم للحساب، تدعون عزاً وتجلسون.

وقا ابن حجر في (الصواعق المحرقة):

«الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ قال: أخرج جمال الدين الزرندي عن ابن عباس: إن هذه الآية لما نزلت قال ﷺ لعلي ﷺ: هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضيين مرضيين ويأتي عدوك غضاباً مقمحين. (الصواعق المحرقة: 96)

وذكره الشبلنجي في (نور الأبصار: 7: 70 و 110 نقلنا الروايات عن فضائل الخمسة في الصحاح الستة للفيروزآبادي 1: 328 - 329 ط المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ). =

كلام سيء يترفع عن مناقشته فضلاء الشيعة ومثقفوهم.. وكان أولى به ان يقول (العقائد التي يخالفون فيها غيرهم من المسلمين).. وهذا هو الذي علمنا الله تعالى من الجدل بالتي هي أحسن.

ومن حيث المضمون يتحدى البراك المسلمين من شيعة أهل البيت عليهم السلام، وهم يتجاوزون الـ 300/000/000 نسمة على وجه الأرض، وفيهم المفكرون والعلماء والمثقفون ان يعرضوا عليه دليلاً علمياً واحداً فقط على اتباعهم لأهل البيت عليهم السلام.

ومعنى هذا السؤال أن هذه الأمة من المسلمين لا تملك دليلاً علمياً واحداً على استقامة مذهبهم، وإنما تلقوا التشيع واتبعوا أهل البيت عليهم السلام عن تقليد غير علمي للآباء... وهذه إهانة واضحة وإساءة أدب، لاشك في ذلك، لا يستخدمها العلماء، ولا يستجيبون لها، وكنا نحب أن يترفع عنها فضيلة الشيخ البراك، فإن في شيعة أهل البيت عليهم السلام علماء ومفكرون ومتخصصون في حقول المعرفة، وقد أغنوا المكتبة الإسلامية في حقل الكلام والإمامة بعشرات الآلاف من الكتب. مثل كتاب «عبقات الأنوار» للمحقق

= وقد أفرد الشيخ زكريا بركات درويش من فضلاء اليمن رسالة بهذا الموضوع جمع فيها الروايات الواردة بهذا المضمون عن رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسير هذه الآية من سورة البينة جزاه الله خير الجزاء.

السيد حامد حسين الكهنوي الذي يربو على ثمانين مجلداً في اثبات إمامة أهل البيت عليهم السلام، ومنه كتاب «الغدير» للعلامة المحقق الشيخ الأميني في أحد عشر مجلداً في نصب رسول الله عليه السلام لعلي عليه السلام إماماً وولياً على المسلمين في موقع الغدير، يبحث الموضوع من حيث السند والدلالة والأدب في أحد عشر مجلداً، ومنه مؤلفات السيد عبد الحسين شرف الدين، ومنه «إحقاق الحق» للقاضي نور الله التستري في عشرين مجلداً، وموسوعة «دلائل الصدق» للشيخ محمد حسن المظفر في سبعة أجزاء، ومنه «موسوعة الإمامة الكبرى» للسيد القزويني... ومنه «معالم المدرستين» للعلامة العسكري وما لا يستطيع احصاءه من المؤلفات العلمية والموسوعات في هذا المجال، وهي مطبوعة وموفرة في المكتبات.

وليست المسألة بالسذاجة التي يتصورها البراك، فيتحدى الشيعة أن يأتوا بدليل واحد على صحة مذهبهم... من حديث أهل البيت عليهم السلام..

وطرح البراك بعد ذلك غير واضح، ... فإن البراك يقول: «ان يثبتوا بدليل صحيح صريح»...

ونتساءل الصحيح عند من؟

.. فإن كان يريد دليلاً صحيحاً مقنعاً له فهو طلب لأمر غير ممكن في أغلب الظن... ولا يختص بهذا الموضوع، فإذا سأله ملحد

لا يؤمن بالله، أن يأتيه الشيخ بدليل صحيح يقنع الملحدين، على اثبات وجود الله تعالى، لا بحسب القواعد الموضوعية للجدل والمنطق، فهل يستطيع أن يأتي بدليل صحيح يقنعهم؟ وإذا كان قادراً على ذلك فلماذا لا يكون سبباً لإيمان الملايين من الملحدين على وجه الأرض؟

وإذا سأله مسيحي أو بوذي أن يأتيهم بدليل صحيح مقنع للمسيحيين أو البوذيين على استقامة الاسلام وصحته وحقانيتها، فهل يستطيع البراك أن يأتي بدليل صحيح يقنعهم؟

وإذا كان قادراً على ذلك فلماذا لا يكون سبباً لإسلام مئات الملايين من المسيحيين والبوذيين والهندوس وغيرهم؟ وأنا افترض ان البراك يقصد بالدليل الصحيح: الدليل العلمي الموضوعي الذي ينسجم مع قواعد الجدل والبرهان، طبقاً للأصول المعروفة في المنطق العلمي، اقتنع به البراك أو لم يقتنع.

وفيما يلي اقتصر على التنبيه، بالاختصار على نقطتين من مواقف أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم من الأمور التي ينفرد بها شيعتهم دون غيرهم من الفرق الإسلامية.

النقطة الأولى: موقف أهل البيت عليهم السلام من الخلافة والإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

النقطة الثانية: موقف أهل البيت عليهم السلام وحديثهم عن مرجعية

أهل البيت عليهم السلام للمسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسوف أستعرض هاتين المسألتين على نحو الاختصار والإيجاز:

1 - الخلافة والإمامة

لقد تواترت الأخبار أن علياً عليه السلام لم يبايع أبا بكر، وتخلّف عن بيعته معترضاً، وكان يرى أن الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله من حقه دون أبي بكر.

وهاتان القضيتان مما تواترت به الروايات وتواتر ذكره في المدونات الروائية، وفي كتب السيرة والتاريخ.

وهذا القدر يكفي للإجابة على تحدّي البراك. وشيعة علي عليه السلام لا يزيدون في أمر الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على ذلك.

فهم يعتقدون ان الإمامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كانت لعلي عليه السلام دون أبي بكر...

وهو مما انفرد به شيعة أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم من الفرق الإسلامية.

* * *

ولابدّ لهذا الاجمال من تفصيل؛ وإليك هذا التفصيل بقدر ما يسمح به صدر هذا المقال:

امتناع علي السليمة من البيعة واعتراضه

روى البخاري في الصحيح بسنده الى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في حديث طويل، روى عن عمر: انه قد كان من خبرنا حين توفي الله نبيه ﷺ، أن الأنصار خالفونا، واجتمعوا باسرههم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما...⁽¹⁾.

ورواه الإمام أحمد في المسند في (مسند عمر بن الخطاب)⁽²⁾.

ورواه أبو جعفر الطبري في تاريخه⁽³⁾.

ورواه ابن هشام في السيرة⁽⁴⁾.

وروى الطبري عن الزهري أن علياً السليمة لم يبايع أبا بكر، ولم يبايعه أحد من بني هاشم حتى بايعه علي السليمة⁽⁵⁾.

وقال ابن الأثير في الكامل:

والصحيح أن أمير المؤمنين ما بايع إلا بعد ستة أشهر⁽⁶⁾.

(1) صحيح البخاري باب رجم الحبلى من الزنى اذا احصنت (17/31) ح 1 بالتسلسل العام ح 6830.

(2) مسند أحمد بن حنبل 55/1.

(3) تاريخ الطبري 4: 1822 ط اوربا.

(4) سيرة ابن هشام 4: 338.

(5) تاريخ الطبري 4: 1825.

(6) الكامل لابن الأثير حوادث (سنة 11) 2 : 325، دار صادر بيروت.

وراجع تاريخ الخميس 1 : 188 وتاريخ أبي الفداء 1 : 156
والرياض النضرة 1 : 167.

ويقول البلاذري: بعث أبو بكر عمر بن الخطاب الى
علي (رضي الله عنهم) حين قعد عن بيعته، وقال إئتني به بأعنف
العنف، فلما أتاه جرى بينهما كلام، فقال (أي علي لعمر): إحلب
حلباً لك شطره⁽¹⁾.

ويقول البلاذري وأبو الفداء وابن عبد ربّه:

بعث أبو بكر عمر بن الخطاب مع جماعة الى عليّ ليخرجهم
من بيت فاطمة، وقال: إن أبوا عليك فقاتلهم.
وقد أمر الخليفة أبو بكر عمر بن الخطاب بكشف بيت فاطمة،
لاحضار عليّ الى البيعة بالعنف، وكان أبو بكر يأسف لذلك في
مرضه الذي مات فيه.

روى الذهبي في (ميزان الاعتدال) عن العقيلي حديثاً أقرّ
الذهبي بصحته عن عبدالرحمان بن عوف، قال: دخلت على أبي
بكر أعوده، فاستوى جالساً، فقال (من جملة كلامه): «إني لا آسى
على شيء إلا على ثلاث وددت إني لم اكشف بيت فاطمة وتركته،
وأن اغلق على الحرب»⁽²⁾.

(1) أنساب الأشراف 1 : 587.

(2) ميزان الاعتدال 3 : 109 في ترجمة علوان بن داود البجلي، دار المعرفة - بيروت.

ورواه الحافظ ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان⁽¹⁾ .
ورواه الطبري في التاريخ⁽²⁾ والمسعودي في مروج
الذهب⁽³⁾ والذهبي في التاريخ⁽⁴⁾ .
والروايات في ذلك كثيرة في كتب الحديث والتاريخ والسيرة،
ونكتفي بهذا المقدار.
وكانت الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام بنت رسول الله عليه السلام مع
علي عليه السلام في كل هذه المواقع، ولا نريد أن ندخل في تفاصيل هذا
الحديث.
روى شمس الدين أبو الخير الجزري الدمشقي الشافعي في
كتابه (أسنى المطالب) بسنده المتصل الى فاطمة بنت رسول الله عليه السلام
قالت: «أنسيتم قول رسول الله عليه السلام يوم غدير خمّ: من كنت مولاه
فهذا علي عليه السلام مولاه». .
وقوله عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى». .
هكذا أخرجه الحافظ الكبير أبو موسى المدني في كتابه

(1) لسان الميزان 4 : 189.

(2) تاريخ الطبري 2 : 619.

(3) مروج الذهب 1 : 414.

(4) تاريخ الإسلام للذهبي 1 / 388.

المسلسل بالأسماء⁽¹⁾.

وقد ماتت فاطمة وهي غاضبة وأوصت أن تدفن سرّاً، ولا يحضرون جنازتها ولا الصلاة عليها، احتجاجاً⁽²⁾.

ولكن الإمام عليه السلام عندما وجد أن موقفه من الخلافة يضعف الصف الإسلامي آثر أن يبايع أبا بكر على الخلافة .

يقول عليه السلام في كتاب له لأهل مصر مع مالك الأشتر لما ولاه مصر: «فوالله ما كان يلقي في روعي، ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده عليه السلام عن أهل بيته، فمارعني إلا إنشال الناس على فلان، يبايعونه فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون الى محق دين محمد عليه السلام، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم»⁽³⁾.

وقال عليه السلام: «لقد علمتم أنني أحقّ بها من غيري، ووالله لأسلمنّ ما سلّمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة»⁽⁴⁾.

(1) الغدير 1 : 196، وسمّي هذا الحديث بالحديث المسلسل بالفواطم لوقوع ست من

الفواطم في سنده.

(2) راجع صحيح البخاري كتاب المغازلي وصحيح مسلم 5 كتاب الجهاد، وسنن البيهقي

6 : 3000 و الطحاوي في مشكل الآثار 1 : 47.

(3) نهج البلاغة الكتاب 62.

(4) نهج البلاغة الخطبة 74.

ونكتفي بهذا المقدار في استعراض الروايات التي تكشف عن عدم رضا الإمام علي عليه السلام وسخطه بما جرى من انتصاب الخليفة الأول، ومن بعده الخليفة الثاني والثالث أئمة للمسلمين من بعد رسول الله عليه السلام.

وهذا الذي ذكرناه من حقائق التاريخ والسيرة والحديث، لا يمكن تجاهله، ولا رفضه، ولا التشكيك فيه، ولم نكن بحاجة الى هذا التفصيل لولا الثبوت من النتائج التي سوف نصل إليها إن شاء الله في التحليل الذي يرد بعد هذا العنوان.

أربعة نقاط قبل التحليل:

ولكي يستكمل البحث ادواته العلمية الضرورية للتحليل نقدم فيما يلي أربعة نقاط لهذه الغاية:

النقطة الأولى والثانية:

إن الروايات المتواترة في امتناع الإمام علي عليه السلام عن بيعته الخليفة الأول واعتراضه عليها، والتي استعرضنا نماذج منها تدل على نقطتين اثنتين:

النقطة الأولى: عدم رضا الإمام عليه السلام، بل غضبه وسخطه على ما جرى في السقيفة من بيعته الخليفة الأول، وكذلك عدم رضا وغضب الصديقة الزهراء فاطمة بنت رسول الله عليه السلام.

النقطة الثانية: إنّ الإمام عليه السلام كان يرى ويعتقد ان الإمامة بعد رسول الله عليه السلام حقه الذي لا يجوز لأحد أن يزعه عنه. وهذا وذاك مما لا يمكن إنكاره أو التشكيك فيه، والتشكيك فيه بحكم التشكيك في بديهيات التاريخ والسيرة. وهذا الحد يكفي في الإجابة على تحدي الشيخ البراك... فهذا علي سيد أهل البيت عليه السلام بعد رسول الله عليه السلام، وهذه فاطمة بنت رسول الله عليه السلام سيدة أهل البيت، يرفضان بيعة الخليفة الأول ويعتقدان أن الإمامة من بعد رسول الله عليه السلام لعلي عليه السلام حصراً.

النقطة الثالثة: تنزيه الإمام عليه السلام والصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام

لقد صحّ عن رسول الله عليه السلام انه قال عن علي عليه السلام: «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ حيث كان». «وعليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

أخرجه جمع غفير من الحفاظ، منهم البزار في مختصر زوائد مسند البزار 2: 173 - 174 وأبو يعلى في مسنده 2: 318 وابن عساكر في تاريخ دمشق 42: 449. والهيثمي في مجمع الزوائد 7: 234 - 235 وابن المغازلي في المناقب: 244 ح 291 والحاكم في المستدرک 3: 124 - 125 وابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب 10: 62 - 63 وجمع آخرون من حفاظ الحديث

النبوي⁽¹⁾.

وعلي^{عليه السلام} سيّد أهل البيت^{عليهم السلام} بعد رسول الله^{صلى الله عليه وآله} وفاطمة الزهراء بنت رسول الله^{صلى الله عليه وآله} سيّدة أهل البيت، وفيهم نزلت آية التطهير التي تنزّههم عن الرجس، وتعلن بأنّ الله تعالى قد طهّرهم تطهيراً، وقد تحدثنا عن ذلك.

وأعلن رسول الله^{صلى الله عليه وآله} (ص) أنّهم الثقل الأصغر بعد كتاب الله، وعلى المسلمين أن يرجعوا إليهم في حدود الله وشريعته وأحكامه. فلا يمكن أن يتصور أحدٌ أن مواقف الإمام^{عليه السلام} والزهراء فاطمة^{عليها السلام} مواقف صادرة من الإنفعال النفسي والمنافسة على الزعامة وحطام الدنيا.

ولابدّ أن يكون لهذا الإمتناع والاعتراض أساس شرعي، ولا بد أن يكون لموافقتهم ومخالفتهم وإعراضهم واستجابتهم ورفضهم أساس شرعي واضح.

النقطة الرابعة: انعقاد البيعة بالإمامة في الفقه

فإن البيعة للإمام تنعقد بعدد يعتدّ به من أصحاب الحلّ والعقد وبعدد يعتدّ به من المسلمين ولا يجب حضورهم جميعاً للبيعة، فإذا بايع عدد يعتدّ به من المسلمين وفيهم عدد من أصحاب الحلّ

(1) راجع: علي^{عليه السلام} ميزان الحق للمحقق الآمدي: 317-338.

والعقد، واستجاب الإمام للبيعة... انعقدت البيعة له، ولزم الآخريين ووجب عليهم متابعة المبايعين له، ومبايعة الإمام وطاعته، ولا يجوز التخلف عنه.

وقد انعقد على ذلك إجماع الفقهاء⁽¹⁾.

النتائج الأربعة

طبقاً للشرح المتقدم نتوصل إلى أربع نتائج بصورة طبيعية، وفيما يلي استعراض لهذه النتائج على نحو الاختصار:

1 - لا يمكن ردّ التحليل المتقدم بان غضب الإمام وسخطه وعدم رضاه لما جرى في السقيفة وكذلك غضب الصديقة فاطمة عليها السلام كان بسبب عدم استشارة الإمام عليه السلام في أمر البيعة، وإنما الصحيح أن نقول أن سخطه وغضبه عليه السلام كان بسبب أنه عليه السلام

(1) راجع: تفسير القرطبي 1: 185 - 186 في تفسير الآية 30 من سورة البقرة ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية 1: 141، والأحكام السلطانية للماوردي: 6 - 7 والمغني للقاضي عبد الجبار الجزء العشرين، القسم الأول: 303 ط 1966، والإيجي في المواقف: 399 - 400 والفصل في الملل والنحل لابن حزم 4: 167 وشرح جلال الدين المحلي على منهاج النووي 4: 173 ط محمد علي صبيح وأصول الدين للبخاري: 280 - 281 والنووي والرملي في منهاج الطالبين وشرحه 7: 390 والإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد: 424 مطبعة السعادة بمصر وأصول الدين للبخاري: 189 والروضة للنووي: 267 وغير ذلك من المصادر.

كان يرى أن الإمامة بعد رسول الله ﷺ حقه هو دون غيره.
2- لو كان مبدأ الاختيار في الإمامة بعد رسول الله ﷺ صحيحاً،
لم يكن للإمام ﷺ بعد انشغال الناس على الخليفة، كما يقول
الإمام ﷺ في رسالته الى أهل مصر، أن يعترض ويمتنع عن البيعة،
لأن البيعة تمت بصورة شرعية بحضور الناس وبيعتهم لأبي بكر، ولم
يرشح الإمام ﷺ نفسه للبيعة، بسبب اشتغاله بتجهيز رسول الله ﷺ
وسبقه اليه أبو بكر، وبايعه الناس.
فلماذا الامتناع والاعتراض... وقد قرأنا قبل قليل اجماع الفقهاء
على وجوب البيعة للإمام على عامة الناس لو تمت له بصورة
شرعية.

وإذا كان مبدأ الاختيار هو المبدأ الشرعي للبيعة، فإن البيعة
تتعقد بصورة شرعية، بأقل من هذا العدد الذي بايع أبا بكر من
المهاجرين والأنصار. ولم يبق للإمام ﷺ حق إلا العتاب، دون
الامتناع والاعتراض، وكان عليه أن يستجيب للبيعة، ثم يحتفظ
لنفسه بحق العتاب، وهو أمر آخر، ولا يتطلب الامتناع والاعتراض...
لولا أن الإمام ﷺ كان يعتقد أن الإمامة بعد رسول الله ﷺ حق
شرعي له، ولا يصح لأحد أن يبايع الخليفة الأول مع حياته
وحضوره.

يضاف الى ذلك الروايات الكثيرة التي يرويها أصحاب السير

والمحدثون من تصريح الإمام عليه السلام مرات كثيرة بأن الإمامة كانت من حقه بعد رسول الله عليه السلام وأنه لم يكن يتوقع أن يزج عنه أحد هذا الحق .

وإذا عرفنا أن مواقف الإمام عليه السلام وحديثه حجة على الآخرين لقول رسول الله عليه السلام فيه «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ»، ولأنه كان من نفر الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً... فلا بد أن يكون لموقف الإمام في الامتناع والاعتراض سبب شرعي.

وهذا السبب لا يكون إلا لأن الإمامة بعد رسول الله عليه السلام لا يكون بالاختيار والانتخاب، وإذا الغينا مبدأ الاختيار في انتخاب الإمام فلا يبقى إلا مبدأ النص، وهو الذي كان يراه الإمام، ويرى أن رسول الله عليه السلام قد خصه به يوم الغدير وغيره على مرأى ومسمع من الناس. وليس هناك من أمر آخر على كل الآراء والمباني الفقهية المعروفة، فإن آراء المسلمين في الإمامة لا تزيد على ثلاث :

1 - مبدأ الاختيار.

2 - مبدأ الغلبة العسكرية.

3 - مبدأ النص.

وإذا ألغينا شرعية مبدأ الاختيار، فلا بد أن نلغي شرعية مبدأ الغلبة العسكرية على نحو أولى، فلا يبقى إلا مبدأ النص... والإمام يرى أن رسول الله عليه السلام قد خصّه بالنص في حياته، وكلماته في ذلك

واضحة. . ولذلك كان الاعتراض والامتناع حتى لو لم نقل بعصمة الإمام. . فإنّ آية التطهير وحديث الثقلين وحديث «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ» وعشرات الأحاديث الأخرى التي صحّت عن رسول الله ﷺ في الإمام ﷺ تلزمنا أن نأخذ برأي الإمام وموقفه عند تقاطع الآراء والمواقف.

3 - لقد اضطرّ الإمام ﷺ الى البيعة، يوم عرف أن امتناعه عن البيعة يؤدي الى خلل في المجتمع الإسلامي الناشيء يومذاك، فتكون مصيبته بالخلل في الإسلام والأمة الإسلامية أعظم من مصيبته في عزله عن حقه الذي خصّه به رسول الله ﷺ فأقدم على البيعة.

يقول ﷺ: « فامسكت بيدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون الى محق دين محمد ﷺ فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً فتكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم»⁽¹⁾.

فأقبل على مبايعة الخليفة للمحافظة على كيان الإسلام والأمة الإسلامية.

وهو كان سبب بيعة الإمام ﷺ لا ما يذكره المؤرخون أن

(1) نهج البلاغة الكتاب رقم 62.

وجوه الناس قد تحوّلت عنه بعد وفاة بنت رسول الله ﷺ فأقدم على بيعة الخليفة .

وبناءً على ذلك فلا تغير بيعة الإمام ﷺ - عن اضطرار - موازين الحكم الشرعي في الإمامة.

فإنّ الإمام ﷺ يعتقد ويؤمن بأنّ الإمامة بعد رسول الله ﷺ لا تكون بالاختيار والبيعة، وإنما تتحقق بالنص. فإذا اضطرّ هو الى البيعة، لثلا يحدث الخلل في الإسلام، وفي الأمة الإسلامية، لن تكون بيعته سبباً لتغيير المباني الشرعية للإمامة والولاية بعد رسول الله ﷺ.

4 - وإذا واجهنا اختلافاً في الرأي بين الشيخين وأصحابهم من جانب والإمام ﷺ من جانب آخر في مباني الإمامة والولاية بعد رسول الله ﷺ فإننا لا نتردد في إتباع الإمام علي ﷺ في رأيه وعقيدته، إنطلاقاً من «آية التطهير» و«حديث الثقلين» و حديث «عليّ مع الحق» وسائر الأحاديث التي صحّت عن رسول الله ﷺ في اتّباع الإمام ﷺ بعد رسول الله ﷺ.

2 - مرجعية أهل البيت (ع) الدينية للمسلمين

وهذه هي النقطة الثانية التي نذكرها في الجواب على تحدّي الشيخ البراك لشيعة أهل البيت، وهي مرجعية أهل البيت عليهم السلام على امتداد العصور للمسلمين في أمور الدين وأحكام الشريعة، وتبيين حدود الله تعالى في الحلال والحرام. وهي ثابتة برواية أهل البيت عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي كذلك مما ينفرد به شيعة أهل البيت عليهم السلام دون غيرهم. فهم يعتقدون بمرجعية أهل البيت عليهم السلام للمسلمين على امتداد التاريخ، في كل العصور في الفقه والعقائد والثقافة، وعرفوا لذلك فيما بين المسلمين، بأتباع أهل البيت وشيعتهم. وأما الدليل على ذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ورواية أهل البيت عليهم السلام فهو أحاديث ونصوص كثيرة متضافرة عن رسول الله (ص) تقتصر منها على حديث الثقلين الذي تواترت روايته عند الفريقين، وإليك متن الحديث وسنده ودلالته:

متن حديث الثقلين:

ورد هذا الحديث في روايات كثيرة، ويبدو أن رسول الله صلى الله عليه وآله تحدّث به في أكثر من موضع ورواه أئمة الحديث والتفسير

والتاريخ بألفاظ مختلفة، ونحن نقل الحديث ببعض ألفاظه الواردة في كتب الحديث:

«أيها الناس إنما بشر أوشك أن أدعى فأجيب، وأني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما (أو ما إن اعتصمتم بهما) لن تضلوا أبداً - وهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي - أحدهما أثقل من الآخر، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فاتقوا الله وانظروا كيف تخلفوني (أو كيف تحفظوني) فيهما (أو أن اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتى يلقياي) فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، وتوشكون أن تردوا عليّ الحوض وأسألكم حين تردون عليّ عن الثقلين كيف خلفتموني فيهما، فمن استقبل قبلي وأجاب دعوتي فليستوص بهما خيراً».

وهذا الذي روينا مزيج من بعض ألفاظ الحديث، ومن يريد الوقوف على كل ألفاظ الحديث، فليراجع الرسالة القيّمة التي أصدرتها «مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة» في هذا الحديث⁽¹⁾.

سند الحديث:

وقد ورد هذا الحديث ببعض ألفاظه في صحيح مسلم (7 :

(1) حديث الثقلين، إصدار مجمع التقريب: 6- 9.

122)، وسنن الترمذي (2 : 307)، وسنن الدارمي (2 : 432)،
ومسند أحمد بن حنبل (3 : 14 و 217)، و: 26 و 59، و (4 : 366
و: 371)، وأيضاً في (5 : 182 و 189، وخصائص النسائي: (30)،
ومستدرک الحاكم (3 : 109 و 148 و 533)، والحافظ الكنجي
الشافعي في كفاية الطالب في الباب الأول: (11) في بيان صحة
خطبته بماء يدعى خمًا، قال بعد نقل الحديث: «أخرجه مسلم في
صحيحه، ورواه أبو داود وابن ماجة القزويني في كتابيهما، وأيضاً
في الباب الحادي والستين: (130)، والطبقات لمحمد بن سعد
الزهري البصري في الرابع: (8)، والحلية لأبي نعيم الاصبهاني (1 :
355)، وأسد الغابة لابن الأثير الجزري في (2 : 12)، وفي (3 :
147)، والعقد الفريد لابن عبد ربه القرطبي في الجزء الثاني في
خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع: (346 و: 158)، وتذكرة
الخواص في الباب الثاني عشر: (332) لابن الجوزي، قال بعد نقل
قول جدّه: «وقد أخرجه أبو داود في سننه والترمذي أيضاً وذكره
رزين في الجمع بين الصحاح»، والعجب كيف خفي عن جدّي ما
روى مسلم في صحيحه من حديث زيد بن أرقم... الخ، وانسان
العيون لنور الدين الحلبي الشافعي (3 : 308)، وذخائر العقبي
لأحمد بن عبد الله الطبري: (16)، والسراج المنير للعزيمي الشافعي
في شرح الجامع الصغير للسيوطي (1 : 321)، وفي هامشه أيضاً

للشيخ محمد الحنفي، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: (2)،
ونسيم الرياض لشهاب الدين الخفاجي (3: 410)، وفي هامشه
المسند للإمام أحمد بن حنبل (1: 96 و 101)، و(2: 390)، و(5
: 95)، والكشف والبيان للثعلبي في تفسير آية الاعتصام (3: 18)،
وتفسير النظام للنيسابوري في تفسير آية الاعتصام (1: 257)،
و(ج4) في تفسير آية المودة: 94، وأيضاً في تفسير آية ﴿سنفرغ
لكم أيها الثقلان﴾: (212)، وابن كثير الدمشقي في تفسير آية
المودة (4: 113)، وفي آية التطهير (3: 485)، وأيضاً في تاريخه
في (ج5) أو (ج6) ضمن حديث الغدير، والمواهب العلية لحسين
الكاشفي في تفسير آية ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾، والنهاية لابن
الأثير الجزري في (ج1)، وأيضاً في الدر المنثور للسيوطي: (155)،
ولسان العرب لجمال الدين الأفرريقي المصري في (ج6) في لغة
العترة، وفي (ج13) في لغة الثقل والحبل والقاموس لمجد الدين
الشرازي في لغة ثقل، ومنتهى الأرب لعبدالرحيم الصفي في لغة
الثقل، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي في (ج6) في
معنى العترة: (130)، ومدارج النبوة لعبدالحق الدهلوي: (520)
والمناقب المرتضوية لمحمد صالح الترمذي الكشفي: (96 و 100
و 472)، ومفتاح كنوز السنة: (2 و: 448)، ومصابيح السنة للإمام
البعغوي الشافعي (2: 205 - 206)، وابن حجر في الصواعق: (75)

و: 87 و: 90 و: 99 و: 136)، وإسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار للشبلنجي: (110)، وينايع المودّة لسليمان بن إبراهيم البلخي الحنفي: (18 و: 25 و: 30 و: 32 و: 24 و: 115 و: 126 و: 199 و: 230 و: 238 و: 301)، والسيد مير حامد حسين الهندي، رواه عن جماعة تقرب من المئتين من أكابر علماء المذاهب من المئة الثانية الى المئة الثالثة عشرة، وعن الصحابة والصحابيات، أكثر من ثلاثين رجلاً وامرأة كلهم رووا هذا الحديث الشريف عن النبي ﷺ⁽¹⁾ ..

(1) نقلنا أكثر هذه المصادر عن كتاب الغدير، للعلامة الأميني ورسالة حديث الثقلين، اصدار مجمع التقريب.

دلالة الحديث:

1 - يبين رسول الله ﷺ في هذا الحديث أن أهل البيت ﷺ هم صنو القرآن، ولا يتخالفان، ولا يفترقان، ولا يزالان كذلك الى يوم القيامة.

وهو ظاهر في أن الله تعالى يعصمهم من الخطأ ومخالفة القرآن «وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

2 - ويوصي رسول الله ﷺ المسلمين بالتمسك والاعتصام بهما من بعده الى قيام الساعة في شؤون دينهم.

3 - ويعلن رسول الله ﷺ للمسلمين يومئذٍ أنهما يعصمان المسلمين من الضلال والزيغ. فمن اعتصم بهما عصمة الله تعالى من الضلال: «ما إن تمسكتم بهما- اعتصمتم بهما- لن تضلوا بعدي».

4 - وتبقى وتستمر هذه العصمة لهذه المرجعية الى أن يردا على رسول الله ﷺ الحوض، «وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»، ويبقى كتاب الله وأهل بيت رسول الله ﷺ مرجعاً أميناً للمسلمين في أمور دينهم الى يوم يلقون رسول الله ﷺ على الحوض.

5 - ويوصيهم رسول الله ﷺ أن يتعلموا منهما، ولا يعلموهما ويتبعونهما، ولا يسبقوهما في قول أو فعل..

وعلى أساس هذا الحديث وقبله (آية التطهير) نحن نرجع إلى أهل البيت ﷺ في فقهننا دون غيرهم.

ويبقى أن نشير الى أن هذا الحديث لا ينافي حديث التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فإن أهل البيت ﷺ إمتداد لسنة رسول الله ﷺ وليسوا بديلاً عنها، وهم ليسوا من أهل الرأي والاجتهاد، وإنما هم يروون لنا سنة رسول الله ﷺ في كل ما يقولون ويأمرون به لا يزيدون عليه ولا ينقصون، كما وصلنا ذلك من تصريح أهل البيت ﷺ في مختلف العصور في أحاديثهم الكثيرة أنهم لن يزيدوا فيما يتحدثون به عن حديث رسول الله ﷺ وكما يتحدثون به فهو حديث رسول الله ﷺ، ورثوه كابراً عن كابر، وأما كيف خفي على سائر الصحابة هذه الاحاديث التي ورثها أهل البيت ﷺ. فقد تحدث عنها علماء أهل البيت كثيراً، وتحدثت عنه في كتاب (آية التطهير) ومن أراد فله أن يراجع هذا الكتاب

ونقول دون أن ندخل في هذا النقاش ونقطع الطريق عليه عاجلاً: إن في آية التطهير وحديث الثقلين الجواب على ذلك، فإن الله أخبرنا بتطهيرهم وصدقهم، فإذا أخبرونا بحديث عن رسول الله ﷺ فليس لنا ان نشكك في صحة الرواية عنهم، ورسول الله ﷺ قد أمرنا بأن نرجع إليهم في أمور ديننا من فقه وعقيدة وأصول وفروع بعد القرآن الكريم، فإذا حددوا لنا حدود الفقه وأصلوا لنا الأصول والفروع في إطار الكتاب الكريم فليس لنا ان نشكك في حديثهم، وإذا قالوا ذلك عن حديث رسول الله ﷺ فليس لنا أن

نشكك في روايتهم.

* * *

أما بعد فقد أطلنا الوقوف مع (البراك)، وما كان ينبغي أن نقف معه هذا الموقف الطويل، لولا الحرص على وحدة كلمة المسلمين وإنسجامهم، وتفاهمهم، وإتلافهم، وتحابيبهم في الله، وقطع الطريق على من يعمل لتفريق كلمة المسلمين وإثارة الفتنة بينهم، وإضعاف موقفهم وكلمتهم، عن قصد أو غير قصد.

فإنّ من الطبيعي أن هذه الموجة من الاتهامات تقابلها امواج معاكسة، ومن الطبيعي أن يتصاعد هذا التراشق المتبادل بين المسلمين، ومن الطبيعي أن يؤدي ذلك الى شرح في الصف الإسلامي، وانشطار في الموقف، وإضعاف للأمة وثلمة في كلمة المسلمين....

وعندئذٍ تقف أمريكا وإسرائيل والأنظمة الغربية المناوئة للإسلام تتفرّج على محنة المسلمين وصراعاتهم الداخلية.

ولست أتهم الشيخ البراك أنه يقصد الإثارة والفتنة بين المسلمين، ويريد تفتيت الصف الإسلامي ويريد أن يمكن الاستعمار العالمي الأمريكي، وإسرائيل من بلاد المسلمين... لست أقول شيئاً من ذلك، ولكنني أقول أن التناول غير العلمي، والتشهييري، لهذه المسائل الحساسة، وفي أجواء غير علمية، بهذه اللغة

الاستفزازية يؤدي الى هذه النتيجة، أراد الشيخ، أم لم يرد.
فليس يصح علمياً وأخلاقياً أن تنسب هذه التهم جزافاً الى طائفة
واسعة من المسلمين، لها حضور واسع في كل الأوساط الإسلامية
في العالم تقريباً، بمثل هذه الصورة غير العلمية، من غير دليل.
ولا يصحّ طرح هذه المسائل، وهي إتهامات قديمة، أكل الزمان
عليها وشرب، وتكرّر حتى ملّ المتهمون من الإتهام، وتكرّر
الجواب عليها حتى ملّ المدافعون من الجواب... .
أقول لا ينبغي أن تطرح أمثال هذه المسائل بهذه الصورة المثيرة
للفتنة، وغير العلمية، وغير الموضوعية، في ظروف سياسية
كالظروف السياسيّة العسيرة القائمة اليوم، التي يحتاج المسلمون فيها
الى التفاهم والإنسجام أكثر من أي شيء آخر، بعد الإتكال على الله
تعالى.

فها هي أمريكا تحتلّ بلدين إسلاميين: العراق وأفغانستان،
وتمارس أبشع أنواع الاضطهاد والتعذيب بحق المسلمين في سجون
أبو غريب وغوانتاناما وغيرهما.

وها هي إسرائيل تمارس أبشع أنواع القتل والحصار الاقتصادي
والاختطاف، ومداهمة البيوت والأسر والتجويع بالمسلمين
الفلسطينيين في غزة، ولا يستجيب لصراخهم واستغاثتهم حكّام
العرب والمسلمين، غير استجابة محدودة لا تغني ولا تسمن.

ثم نجد أحد أمراء العرب والمسلمين في تلك الأيام بالذات يستقبل بصورة رسمية وزيرة خارجية إسرائيل، قاتلة الفلسطينيين في غزة، يرحب بها، ويصافحها، ويظهر على شاشات الفضائيات العالمية، ويده بيدها، وجراح المسلمين في غزة تنزف دماً عبيطاً كل يوم، وفي سجونها الآلاف من إخواننا وأبنائنا من فلسطين.

وتمارس أمريكا القصف الوحشي على البيوت والمستشفيات والمساجد في مدينة الصدر ببغداد بالقنابل الإنشطارية، تستهدف بها النساء والأطفال والرجال الأبرياء، من غير رادع، كما قصفت إسرائيل لبنان في حرب تموز، وهدمت البيوت على رؤوس أصحابها، وحولت بيوت الناس ومحلاتهم التجارية ومساجدهم الى أنقاض.

وسط هذه المصائب والمحن نجد هناك من ينكأ الجرح، ويعمل على إثارة الفتن في صفوف المسلمين، ويسعى بالبغضاء والإتهام فيما بين المسلمين، ويدعوهم الى التراشق والتناحر وتبادل الإتهامات عن قصد أو غير قصد.

نحن ندعوا الشيخ البراك الى أن يعود الى صفوف المسلمين جميعهم بلا استثناء، يحمل إليهم المحبة والتفاهم والإنسجام والتقريب والتواصل، كما يريد الله تعالى ذلك للمسلمين، وإذا كانت لدية شبه واسئلة وملاحظات وشكوك، فيطرحها في أجواء علمية،

وبصورة موضوعية، وبلغة علمية هادئة.

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾. آل عمران / 103.

وقفتمع الدكتور الشيخ البراك
